



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١١٦

- ١ -

ابن قتيبة ونقد الشعر

اعداد

محمد مريسي الحارثي

رسالة مقدمتيل درجة الماجستير من قسم الدراسات العليا العربية

(فرع الأدب) بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة

(جامعة الملك عبد العزيز)

٢١١٧

باشراف

الدكتور / عبد الحكيم حسان عيسى



١٣٩٦ - ١٩٧٦

١١٧

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	ج
تمهيد	١ - ١٨
الباب الأول	
(ابن قتيبة)	١٩ - ٥٩
الفصل الأول : ابن قتيبة حياته وآثاره	٢٠ - ٤٣
الفصل الثاني : النقد في مؤلفات ابن قتيبة	٤٤ - ٥٩
الباب الثاني	٦٠ - ١٤٩
(نقد الشعر عند ابن قتيبة)	
الفصل الأول : لغة الشعر	٦١ - ٦٤
الفصل الثاني : عيوب الشعر	٦٥ - ٧٥
الفصل الثالث : قضية اللفظ والمعنى	٧٦ - ٩٦
الفصل الرابع : دواعي حفظ الشعر واختياره	٩٧ - ١١١
الفصل الخامس : المتكلف والمطبوع	١١٢ - ١٢٥
الفصل السادس : موقف ابن قتيبة من القديم والحديث	١٢٦ - ١٤٣
الفصل السابع : موقف ابن قتيبة من السرقات الشعرية	١٤٤ - ١٤٩
الباب الثالث	١٥٠ - ١٦٧
(الشاعر عند ابن قتيبة)	
الفصل الأول : ثقافة الشاعر	١٥١ - ١٥٤
الفصل الثاني : علاقة الحالات النفسية بالشعر	١٥٥ - ١٦٢
الفصل الثالث : تقويم الشعراء	١٦٣ - ١٦٧
خاتمة البحث	١٦٨ - ١٧١
فهرس المراجع	١٧٢ - ١٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم
المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد !

موضوع هذا البحث " ابن قتيبة ونقد الشعر " وواضح من هذا العنوان
ان البحث ذو شقين : يتناول الأول ابن قتيبة وحياته وآثاره العلمية ، وان كان
الذين ترجموا لابن قتيبة وكتبوا عن آثاره كثيرون ، إلا أن ترجمتنا له وحديثنا
عن علمه وآثاره تميل الى توضيح الجانب الادبي عند ابن قتيبة أكثر من
الجوانب العلمية الأخرى ، حيث أن الجانب الادبي عنده هو الخط الذي
يرسم لنا منهججه عندما تصدى لنقد الشعر .

ويتناول الثاني جانباً من جوانب ابن قتيبة العلمية وهو " نقد الشعر "
الذي ضمنه كتاب " الشعر والشعراء " .

ولا شك أن البحث في شخصية ابن قتيبة الناقد ذو أهمية كبيرة ففى
الدراسات الأدبية . فابن قتيبة عالم واسع المعرفة لم يترك لونا من ألوان
الثقافة العربية الا تناول منه جانباً وأحسن فيه ، كما كان له نصيب وافر
من الثقافة الأجنبية التي عرفت في عصره ، وخير دليل على تعدد ثقافته
الرجل كتابه " عيون الأخبار " الذي جمع فيمابين الثقافة العربية والثقافات
الأجنبية كما تبين أثناء الحديث عن آثار ابن قتيبة العلمية فى هذه الدراسة .
ولقد كانت ثقافته الواسعة تؤهله لأن يتصدى لقضايا النقد المرسى

التي ظهرت فى عصره .

وتبدأ هذه الدراسة بتصعيد يتناول أهم الخطوات التي خطاها
النقد العربى منذ العصر الجاهلى حتى القرن الثالث الهجرى .

وقد تطلبت طبيعة البحث أن يقسم الى ثلاثة ابواب . أما الباب
الأول فيكشف عن جوانب نشأة ابن قتيبة وحياته وآثاره ، كما يمرض بشئ من
التفصيل كتبه التي تناولت الجانب الادبى بصفة عامة فى شئ من التعريف بها ،
بغية تحديد أيها الصق بنقد الشعر الذى هو موضوع هذه الدراسة . وقد
ظهر من هذا المرمى للنقد فى مؤلفات ابن قتيبة الادبية أن كتاب " الشعر -
الشعراء " هو الكتاب الذى يمثل الجانب النقدى عنده .

وفى الباب الثلثى الذى يقوم على دراسة نقد الشعر عند ابن قتيبة محاولة
لتحديد موقفه من القضايا النقدية التى عالجها ، وتوضيح مدى ما أفاده من
النقاد القدماء أو المعاصرين له وما أضافه الى النقد العربى ومن ثم تقويم أثره
فى الحركة النقدية بعده .

أما الباب الثالث فيتناول اهتمام ابن قتيبة بشاعر وهنائه به ، فعالج
ما يحتاجه الشاعر من ثقافة تمكنه من أن يقف على ارض صلبة فى ميدان الشعر ،
كما تناول الحالات النفسية وعلاقتها بالشعر ، الى جانب تناوله للنقد العملى
المتبل فى تقويمه بعض الشعراء الذين ترجم لهم فى كتاب الشعر والشعراء .

على أن هذه الدراسة التى أقدمها للكشف عن شخصية ابن قتيبة الناقد
قد لا تمثل الصورة الاخيرة لابن قتيبة الناقد ، ولكنها محاولة لرسم معالم
تلك الشخصية حسب المنهج الذى رسمه هو فى كتاب الشعر والشعراء ، بعد
بذل الجهد ومراعاة الدقة فى كل خطوة خطوتها فى هذا البحث .

واننى لأرجو الله أن أكون قد حققت بهذه الدراسة صورة أقرب
ما يمكن من الصحة عن حياة ابن قتيبة وجهوده فى ميدان النقد العربى .

ولا يسنى وأنا اكتب هذه المقدمة الموجزة الا أن أتقدم بالشكر
الجزيل لسعادة الدكتور عبد الحكيم حسان عمر الذى أشرف على
اعداد البحث وأمدنى بالكثير من توجيهاته السليمة حتى أأكمل هذا البحث
على هذه الصورة التى أقدمها بين يدي القارئ ، ولا أجدنى الا مقصرا
فى توفيته ما يستحق من الشكر والتقدير .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل الصواب حليفنا وأن يجنبنا
الخطأ والزلل فإن وقعنا فى شئ من ذلك فالإنسان غير معصوم من الخطأ
والكمال لله وحده .

محمد مريى سمد الحارثى
مكة المكرمة

* تمهيد *

كان للعرب في أواخر العصر الجاهلي مجالس أدبية ، وأسواق تجارية ، يجتمعون فيها ، ويتذاكرون الأشعار ، ويتناقلونها فتذيع بين القبائل ، مما دعى الشعراء الى التناقص وتقديم أجود ما تنبعت به القرائح ، حتى كثر الكلام حول تلك الأشعار بين الإعجاب بها أو الانتقاص منها ، وذلك بدأت تظهر الى الوجود بعض الآراء الفردية في أشعار الشعراء القائمة على التأثر الشخصي والنظرة المجلى ، وكانت هذه الآراء هي بداية النقد المرسى (٢) .

ومن تلك الآراء تنبيههم الى أن النابغة الذبياني وشعرين ابن خازم كانا يقويان في شعرهما ، ومن ذلك قول النابغة : (٣)

أمن آل مية رائح أو مفتد * عجلان ذا زاد وغير مـزور .

زعم البواح أن رحلتنا غلها * وبذاك خبرنا الغراب الأسود . (٤)

(١) كانت عكاظ من أشهر الأسواق التجارية التي يجتمع فيها العرب للبيع والشراء ، وقد اشتهر النابغة الذبياني بدقة ملاحظاته النقدية ، حتى ضربت له فنى السوق قبة من جلد ، كما كانت تعرض عليه أشعار الشعراء .

(٢) من أهم الكتب التي تناولت تاريخ النقد الأدبي عند العرب كتاب " تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري " للمرحوم طه أحمد إبراهيم ، وكتاب " تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري " للدكتور احسان عباس .

(٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . (مصر ١٩٦٦ م) ج ١ ص ١٥٧-١٥٨ .

(٤) وفي الديوان . " وبذاك تنعاب الغراب الأسود " انظر النابغة الذبياني ديوانه . (بيروت ١٩٦٨ م) ص ٢٩ .

كما عابوا على المتلمس خطأه في المعنى حين قال : (١)

وقد اتناسى الهم عند احتضاره * بناج عليه الصيمرية مكدم .

حيث جعل الصيمرية سمة للفعل ، وهى من سمات الناقة .

أضف الى ذلك الروايات التى تشير الى وجود احتكام بين الشعراء الجاهليين ،

والمفاغلة بينهم ، كاحتكام الشعراء الى النابغة فى سوة ، عكاظ ، وقصة حسان بن

ثابت والخنساء فى ذلك ، واحتكام شعراء تميم الى ربيعة بن حذار (٢) ، وقصة

أم جندب مع زوجها امرئ القيس وعلامة الفحل ، وما وصل اليه الشعر فى أواخر

ذلك العصر على يد أوس بن حجر وشامة بن الفديرة ، وزهير بن أبى سلمى

واشباهم ، حيث أصبح الشعر فنا يتعلم بالدرية وملازمة المشاهير من الشعراء .

كل هذه الشواهد تدل على وجود نظرات نقدية فى العصر الجاهلى ، تناولت

طرقا من مقومات الصياغة وما يمرض للمعاني من بعض الميوب ، الا أن المقياس المعتمد

فى ذلك الذوق الفردى القائم على التأثير والنظرة السريعة ، اذ أنها خطرات لا تمثل

نقدا فنيا بالمعنى الصحيح ، وآراء فردية لا ترقى الى مستوى الاتجاه النقدى المتنام .

وقد استطاع بعض النقاد فى القرن الثالث الهجرى أن يقدموا لنا بعض تلك

الخطرات النقدية مع شئ من التعليل الحسن . فلاحظ يذكر أنه منذ المصـ

الجاهلى نشأ التفريق بين نوعين من الشعراء : شعراء الصنعة الذين قوموا شعرهم

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ ص ١٨٣ .

(٢) انظر قصة احتكام شعراء تميم الى ربيعة بن حذار مفصلة فى طه احمد ابراهيم

تاريخ النقد الادبى عند العرب . (بيروت بدون تاريخ) ص ١٤ .

بالثقاف ونقحوه وأعادوا فيه النظر بعد النظر حيث يقول : " ومن شعراء المـسـرب
من كان يدع القصيدة حولا كريتها وزمنا طويلا ، يردد فيها نظره ، ويحيل فيها
عقله ، ويقلب فيها رأيه ، اتهاما لمثله ، وتبما على نفسه ، فيجعل عقله
ذمما على رأيه ، ورأيه عيارا على شعره ، اشفاقا على أدبه ، واحرازا لما خولسه
الله من نعمته ، وكانوا يسمون تلك القصائد " الحوليات " و " المقلدات " و
" المنقحات " و " المحكمات " ليصير قائلها فحلا خنديزا ، وشاعرا
مغلقا . " (١)

وكان الحطيئة يقول : " خير الشعر الحولى المحكك . " (٢)

وشعراء البديهة الذين لا يتكلفون الشعر ولا يتعمقون فيه بكد خاطر ، وانما
يأتى عندهم عن اسماح وسهولة . وقد كان الجاحظ يحذ النوع الأول من الشعراء
الذين اعتمدوا طول الروية فى شعرهم ، وانتقد الأصمى الذى عاب على الحطيئة
تقويمه لشعره وتنقيحه له بقوله : " الحطيئة عبد لشعره . عاب شعره حين
وجده كله متخيلا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه . " (٣)

وقد كان حال النقد فى عهد الخلفاء الراشدين كما هو الحال فى الجاهلية ،
لا يعدو أن يكون نظرات يسيرة وسريعة لم تتجاوز المرحلة التأثرية البحتة ، الا قس
حالات نادرة جدا ، كالذى روي عن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال متدحضا
شعر زهير ابن أبى سلمى : " كان لا يماثل بين القول ، ولا يتبع

(١) الجاحظ . البيان والبيان . (القاهرة ١٣٢٥ هـ - ١٩٥٦ م) ج ٢ ص ٧ - ٨ .

(٢) المصدر السابق . " ج ٢ ص ١٣ .

(٣) المصدر السابق . ج ١ ص ٢٢٩ .

حوشى الكلام ، ولا يمدح الرجل الا بما هو فيه . " (١) فاذا صحت هذه الرواية ، فان عمر بنى نقده قدر تجاوز المرحلة التأثرية ، وبنى نقده على أصول متميزة تعتمد التحليل .

على ان تلك النظرات لا يمكن بحال من الاحوال ان تمثل الخط الذى سار عليه النقد الأدبى عند الجاهليين ، وفى عهد الخلفاء الراشدين تمثيلا واضحاً ، لأنها لم تصب من الشيوع والانتشار ما يجعل منها اتجاهها عاماً . ولم تبدأ بذور النقد الموضوعى فى الظهور واضحة الا فى العصر الأموى ، حين ازدهر الشعر على يد المشاهير من شعراء الاسلام الذين كانوا يمثلون اتجاهات ومذاهب أدبية مختلفة ، لأنهم لم ينبتوا فى بيئة واحدة ، ولم تجتمعهم أهداف سياسية موحدة . فأخذ الناس يدرسون نتائجهم ، ويتعمقون فى فهم الأدب واتجاهاته ، ومذاهب الشعراء فيه ، مما أثرى ميدان النقد الأدبى .

وقد تعددت بيئات الأدب والنقد فى هذا العصر . فكانت بيئة الحجاز ، وبيئة العراق ، وبيئة الشام ، والبيئة البدوية ، وقد قدمت كل بيئة لونا خاصا يمثل صورة صادقة لكل جوانب الحياة فيها .^(٢) فبيئة الحجاز التى فقدت الخلافة فى هذا العصر أصبحت مقصدا لكثير من الموالى . وكان من بين أولئك عدد كبير

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ ص ١٣٨ .

(٢) انظر احمد امين . النقد الأدبى . (بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) ص ٤٥٠ - ٤٦٩ . فقد تحدث عن بيئات النقد فى العصر الأموى حديثا مفصلا .

من المفتين الذين امتلأت بهم مكة والمدينة ، كان سريج ، والفريض ، ومعبد ،
وغيرهم ممن عمروا المجالس الغنائية بأرق الأصوات التي استهوت أهل الحجاز .
ولذلك حفلت أندية مكة المكرمة ومجالسها الأدبية والغنائية بركة شعر عمر
بن أبى ربيعة الذى انصرف الى الغزل واللهو ، حتى أصبح فن الغزل على
يديه جنسا أدبيا مستقلا ، بعد أن كان لحة موجزة يحرص لها الشاعر العربى
فى مقدمة القصيدة .

وكان ابن أبى عتيق من أشهر النقاد الذين تناولوا شعر ابن أبى ربيعة
فقد وصفه بأنه " أشعر قرش من دق معناه ، ولطف مدخله ، وسهل مخرجيه ،
ومتن حشوه ، وتعطفت حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأعرب عن حاجته . " (١)
أما المدينة المنورة فكان أشهر شعرائها الأحوص ، وعبيد الله بن قيس الرقيات .
وقد شاركا بشعرهما فى تصوير تلك الحياة المترفة الناعمة ، وكان مجلس سكينه
بنت الحسين فى المدينة ملتقى الشعراء ، والمغنين ، ورواة الأشعار ، لما كان لها
من دراية بالشعر وأساليب الشعراء . روى صاحب الأغاني أنه قد احتكم اليها
ذات مرة " راوية جرير ، وراوية جميل ، وراوية نصيب ، وراوية الأحوص ،
فقال لراوية جرير : اليس صاحبك الذى يقول :

طرفتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجمنى بسلام

(١) أبو الفرج الأصبهاني . الأغاني . (مصر ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م) ج ١ ص ١٠٩ .

واى ساعة للزيارة احلى من الطروق ؟ قبح الله صاحبك وقبح شعره : الا قال :
فادخلى بسلام . ثم قالت لراوية كثير : اليس صاحبك الذى يقول :
يقرب عيني ما يقرب بعينها * واحسن شئ ما به العين قسرت .
فليس شئ اقر لعينها من النكاح ، افيحب صاحبك ان ينكح ؟ قبح الله
صاحبك وقبح شعره .

ثم قالت لراوية جميل : اليس صاحبك الذى يقول :
فلو تركت عقلى معى ما طلبتها * ولكن طلا بيها لما فات من عقلى .
فما ارى بصاحبك من هوى ، انما يطلب عقله . قبح الله صاحبك ، وقبح شعره ، ثم
قالت لراوية نصيب : اليس صاحبك الذى يقول :
اهيم بدعما حيت فان اُمت * فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدى .
فما ارى له همة الا من يتمشقها بعده . قبحه الله وقبح شعره . الا قال :
اهيم بدعما حيت فان اُمت * فلا ملحت دعد لذي خلة بعدى .
ثم قالت لراوية الاحوص : اليس صاحبك الذى يقول :

من عاشقين تراسلا وتواعدا * ليلا اذا نجم الثريا حلقا .
باتا بأنعم ليلة والذهبا * حتى اذا وضع الصباح تفرقا .
قال : نعم . قالت : قبحه الله وقبح شعره ، الا قال : تعانقا . (١)
وكتاب الاغانى مملوء بوصف تلك المجالس الادبية التى خلقت فى الحجاز ادبا رقيقا

(١) أبو الفرج الاصبهاني . الاغانى (تصوير بيروت ١٩٥٩) ج ١٦ . ص ١١٠-١١١ .

يتفق مع مظاهر الحياة الاجتماعية ، وهذا الأدب الرقيق نتج عنه نقد دقيق يدل على تطور الذوق ورفيقيه .

أما العراق في العصر الأموي فقد شهد فنا من فنون الأدب التي كادت تنحسب عن عالم الأدب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك الفن هو شعر النقائض . فقد استعصم هذا الفن نشاطه الذي كان له في الجاهلية من جديد ، لأسباب اقتصادية وسياسية وقبلية ، واستأثر بجهود الشعراء الفحول . فقد عمر جرير والفرزدق سوق المريد بشعرهما ، وانضم إليهما بعض الشعراء الذين انحاز أكثرهم إلى جانب الفرزدق ، كالأخطل والراعي والبعيث وغيرهم . ولقد تناول الناس أشعارهم ، وراحوا في صراع أدبي محتدم يوازنون وينظرون أيهم أشعر ، فيمتدحون شعر هذا ، وينتقصون شعر ذاك ، حتى لقد رأوا أن انصراف الشاعر عن الهجاء وعدم القول فيه من دواعي تأخيرته عن ركب الفحول " فهذا ذو الرمة أحسن الناس تشبيها ، وأجودهم تشبيها ، وأوصفهم لرمل وهاجرة ، وفلاة ، وماء ، وقراد وحية ، فإذا صار إلى المديح والهجاء خافه الطبع . وذاك أخره عن الفحول " (١) ولذلك كان جل نقدهم يدور حول المفاضلة بين الشعراء .

غير أننا إذا انتقلنا إلى الشام ، رأينا أن المظهر العام للأدب هناك فمن

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ ص ٩٤ .

المديح ، حيث كانت دمشق مقر الخلفاء من بني أمية الذين فتحوا أبوابهم للشعراء
 ، يسمعون مدائحهم ، ويفدقون عليهم الأموال ، فكانت مجالس الخلفاء
 مدارس أدبية ، يشترك فيها الخلفاء والشعراء ، وكان من الخلفاء من لهم
 دراية بالشعر ، وطرق الشعراء ومناهجهم . ولعل عبد الملك بن مروان كان من
 أشهر الخلفاء الذين مارسوا نقد الشعر . فقد روى أنه غاب على الأخطىل
 قوله :

" خف القطين فراحوا منك أوبكروا "

حيث قال : " بل منك ان شاء الله " . (١) ولم يقبل من جرير نبوءة فنى

قوله :

هذا ابن عى فى دمشق خليفة * لو شئت سأقكم الى قطينا . (٢)

لأنه أدرك من ذلك ، أنه إنما جعل الخليفة فى مقام الشرطى .

وعلى ما يبدو فإن النقد الأدبى فى الشام وفى غيرها أولى المعانى اهتماما كبيرا

من ناحية الجودة والرداءة ، أو الخروج على الذوق .

وقد كان أهل البادية آنذاك أقرب والصق فى حياتهم وأشعارهم الى روح -

المصر الجاهلى ، فى فخامة الألفاظ ، وجزالة المعانى ، وتشابه الموضوعات

(١) المرزبانى . الموشح فى مأخذ العلماء على الشعراء . (القاهرة ١٣٨٥ هـ)
 ص ١٢٩ .

(٢) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ - ص ٤٧٠ .

صوروا حياتهم خير تصوير ، قوصفوا في شعرهم الصحراء ، وموارد المياه ، والابل ،
 واجادوا في كل ذلك . فهذا ذو الرمة كان اوصف الشعراء لماله علة بحياة
 البادية ، وهذا جميل بن ميمر شاعر غزل من نوع آخر غير النوع الساذي
 عرفناه في مكة والمدينة ، فهو محب مقيم ، قصد الحب لذاته ، ووصف ما يلاقيه
 من عذاب الهوى وتباريحه ، دون ان يسلك طرق المتعة والخلاعة . وهو بهذا
 يتقيد في غزله بتعاليم الدين واخلاقه ، ويحاول التمسك بها وعدم الخروج عليها .
 وما تقدم يبدو واضحا ان النقد الادبي في العصر الاموي كان يميل الى
 شيء من التعليل ، والوقوف على سر جمال الشعر ، وان لم يكن ذلك التعليل فنيا
 دائما ، ان كان احيانا يقوم على مراعاة عادات العرب وتقاليدهم في اشعارهم ، ومن
 ذلك ما رواه المبرد ^(١) من ان عمر بن ابي ربيعة والاحوص ونصيبا وكثيرا ، قد
 اجتمعوا في مجلس ادبي ، فصاب كثير على ابن ابي ربيعة خروجه على بعض
 تقاليد العرب في قوله :

قالت لها اختها تعاتبها * لا تفسدن الطواف في عمر .
 قوبى تصدى له ليصيرنا * ثم اغزبه يا اخت في خفـر .
 قالت لها قد غزته فابسى * ثم اميطرت تشتد في اثـرى .

(١) انظر . المبرد . الكامل . القاهرة ١٩٥١ م . ج ١ ص ٣٣٢-٣٣٣

فقال كثير : ارادت أن تنسب بها فتسببت بنفسك . "

وقد مدح كثير الأخص في تمثيه مع التقاليد العربية ، وخضوعه لمحبوبته
وذلك في قوله :

ادور ولولا أن أرى أم جعفر * بأبياتكم ما درت حيث ادور .

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى * إذا لم يزر لابد أن ~~سـ~~زور .

لقد منعت معروفها أم جعفر * واني الى معروفها لفتـير .

لكنه عاد فذم الأخص حين خرج على تقليد آخر ، حيث رأى منه أن عاطفة الحب
لا تستمر عنده في حالة هجر المحبوبة له وذلك في قوله :

فان تصلى أمك وان تصودي * لهجر بعدد وصلك لا أبالس .

وعلق على ذلك بقوله : " أما والله لو كنت من فحول الشعراء لهالته ، هلا قلت مثل

ما قال هذا وضرب بيده على جنب نصيب :

بزينب ألم قبل أن يظعن الركب * وقل ان تطبنا فما ملك القلبسب .

غير أن كثيرا عاب على نصيب قوله :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فوا حزنا من ذايهم بها بمعدى .

لأن نصيبا اهتم بمن يخلقه في مكانه منها .

وقد تناقل الناس أمثال هذه الأحكام العامة وما شابهها ، وأخذوا يوازنون بين

الشعراء ، وظهرت فكرة الطبقات حينما نظروا الى اصحاب الفن الواحد ليضمـسوا

كل شاعر منهم في المنزلة التي يستحق . فجعلوا جريرا وصاحبيه طبقة لا يجازيهم
احد من معاصريهم ، وقد طور اللغويون هذه النظرة ونهوها ، وطبقوها على
الاسلاميين والجاهليين .

وقد قدم اللغويون والنحويون آراء ونظرات نقدية قيمة ، حيث استخرجوا
من كلام العرب القواعد اللغوية والنحوية ، ووقفوا على طرق العرب واساليبهم
في التعبير وتنوعت دراساتهم ، واهتموا بكل ما يتصل بالشعر من أصول فنية .
الا ان الدراسات اللغوية التي قامت في خدمة اللغة اخذت ما تحتاجه من
الشواهد والأمثلة من الشعر الجاهلي والاسلامي ، وأعرض كثير من اللغويين عن
الشعر المحدث مما أحدث صراعا ادبيا بين القديم والمحدث دام زمنا طويلا .^(١)
وقد عاصر محمد بن سلام الجمحي كثيرا من علماء اللغة والنحو ، وشاركهم
في تلك الدراسات وأخذ عنهم ، وجمع كل ذلك في كتابه " طبقات فحول الشعراء " ،
الذي عرض فيه تلك النظرات النقدية التي سبقته عرضا علميا منظما ، وأضاف إليها بعض
آرائه الخاصة ، وكان كتابه اسبق الكتب في هذا الميدان . لقد عالج ابن سلام
أهم القضايا النقدية في عصره كقضية الانتحال ، وأراد ان يعمل على تنقية الشعر
ورد كل مصنوع ، ثم بنى كتابه على تقسيم الشعراء الى طبقات ، وانزال كل فني
المنزلة التي يستحق . كما تناول اثر البيهية في الشعر والشعراء ، ودلل على
ذلك بتفاوت البيئات في انتاج الشعر ، الى جانب بعض الاحكام النقدية التي انفرد بها

(١) انظر تفصيل ذلك في موقف ابن قتيبة من قضية القديم والحديث .

واهتدى اليها بذوقه .

وأما كان العصر الأموي عصر جمع التراث ، ورواية الشعر وحفظه
فان العصر العباسي قد سجل ذلك التراث ، ودونه في الكتب والمؤلفات
كما كان هذا العصر عصر الحضارة والثقافة والترجمة والنضوج الفكري . وقد
استجاب الادب العربي لمطالب المجتمع ، وأسهم غير العرب في انتاج الادب ،
وتقويته ، وبدأت مظاهر التغير في الادب العربي منذ بداية العصر العباسي .
فبعد ان كان الادب يصور حياة البادية ومشاعر العرب وتطلعاتهم أصبح
يصور الحياة الجديدة بكل ما فيها من المظاهر الحضارية ، فاتمم الشعر برقصة
المبارة ، وتعميق المعاني ، والبعد عن السطحية ، وتناول تقديم مظاهر
التجديد والتطور في الادب العربي ، ووضع القواعد التي تتيح الناقد على
فهم الأحكام النقدية في شئ من الترتيب والتنظيم ، واستتبع ذلك تطورا ودققة
في الذوق نتيجة التمدن والتحضر . فهذا بشار بن برد يمين على كثير غلظاته
في التصوير في قوله :

الا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين .

ويقول : " والله لو جعلها عصا من مخ أوزد فكان قد هجنها بالمصا ، الا قال
كما قلت :

ويضا المحاجر من ممد * كان حديثها قطع الجنان .
اذا قامت لسبحتها تثنت * كان عظامها من خيزران . (١)

(١) المبرد . الكامل . ج ٢ . ص ٨٠ . في بيت كثير نقد لم يفتن له بشار .
وهو قوله : " اذا غمزوها بالاكف تلين . " فقد جعلها عرضه لكثير من الاكف
فكان احباءها كثير .

ولاشك أن مثل هذا النقد يدل على دقة في التصوير ، ورهافة في الحس ، وهو مظهر من مظاهر تطور الذوق في العصر العباسي الذي لم يرض أن تشبه المحبوبة بالعصا أيًا كان لين هذه العصا . كما كان من مظاهر التطور في هذا العصر تلك الدعوة التي رفع لواءها أبو نواس ، والتي تدعو إلى أطراح المطالع التقليدي للقصيدة العربية ، وإحلال وصف الخير محل ذكر الأطلال^(١) . وقد أصبح التأثير بالفكر اليوناني في هذا العصر ظاهرة جليلة ، فقد ترجم الكثير من التراث اليوناني آنذاك إلى العربية على نطاق واسع ، فأصبح النقد في هذا العصر وخاصة في القرن الثالث الهجري متشعب الجوانب مختلف الأمزجة متباين المناحي ، متأثرا بكل مظاهر العصر ، دونت فيه أهم النظرات النقدية التي تيسر التي أضافت إلى ما تقدمها من النظرات التنظيم ، وتحليل بعض المظاهر الأدبية . فهو نقد موضوعي يقوم على التعليل ، ويحاول التقنين للقواعد النقدية التي تعين الناقد على إصدار الحكم الصحيح .

لقد اشتركت في النقد في هذه الفترة ذهنيات مختلفة ، فتكونت لكل ذهنية اتجاهات وضاح خاصة في ميدان النقد .

كان هناك منحى اللغويين ، وكان هؤلاء من أنصار القديم ، يقوم نقدهم على

(١) انظر في ذلك . مؤلف ابن قتيبة من القديم والحديث .

خدمة اللغة في تقويم الشعر بما يتصل به من اخطاء صرفية ، او نحوية ، او عروضية
وقد كانت لهم نظرات فنية تلمس عناصر الجمال في النص الادبي . وهذه النظرات
ذاتية تتأثر بعيل الناقد ، ودوقه ، وثقافته ، وكان ممن يمثل هذا المنحى
أبو العباس ثعلب الشوفي سنة ٢٩١ هـ وأبو العباس المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ وغيرهما
من علماء القرن الثالث الهجري^(١) .

وقد قدم المبرد صورة واضحة لمنحى اللغويين في القرن الثالث ، واتجاههم
في النقد ، وذلك في باب التشبيه من كتاب الكامل . فقد اختار في هذا الباب
خير ما عرف للعرب من التشبيه المعيب عند القدماء والمحدثين ، ثم عرض لكثير
مما أورد بالنقد والحكم ، مبينا وجوه الاستحسان او الاستهجان في ذلك . يقول
في التشبيه : " فأحسن ذلك ما جاء بإجماع الرواة ما مر لامرئ القيس في كلام
مختصر اى بيت واحد ، من تشبيه شئ في حالتين بشيئين مختلفين وهو قوله :

كان قلوب الطير رطبا وباسا * لدى وكرها المناب والحشف البالى ."^(٢)

ويعقب على ذلك بقوله : " فهذا مفهوم المعنى ، فان اعتراض معترض فقال : فهلا
فصل فقال : كانه رطبا المناب ، وكأنه يابسا الحشف ، قيل له : العربى القصيح
الظن اللقن يرمى بالقول مفهوما ، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا ."^(٣)

(١) لقد كان مصدر اللغويين في روايتهم للشعر في القرن الثالث الهجرى ما سجله اسلافهم
من اللغويين الذين سبقوهم ، بالإضافة الى اعتمادهم في بعض روايتهم على فصحاء
الاعراب الذين يقدون على الحواضر . فقد أخذ المبرد عن المازني وأبي حاتم
السجستاني وغيرهما . كما أخذ ثعلب عن محمد بن زياد الاعرابي ومحمد بن سلام -
الجمحي .

(٢) المبرد . الكامل - ج ٢ ص ٣٥ - ٣٦

(٣) المصدر السابق . ج ٢ ص ٣٦ .

ثم يقول : " ومن تمثيل امرئ القيس المجيب قوله :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح الفصل

وقد أكثر الناس في الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ، ولا بما يقارب سهولة

هذه الألفاظ .^(١) ويورد لأبي نواس قطعة من التشبيه في صفة الخمر ثم

يعتب عليها بقوله : " فهذه قطعة من التشبيه غاية على مخف كلام المحدثين .^(٢) "

وهكذا يمضي المبرد فيورد تشبيهات كثيرة لشعراء متقدمين كالنايف وذو الرمة

وعلقمة الفحل وغيرهم حتى يصل الى المحدثين فيورد ليشار وأبي نواس ومسلم بن

الوليد وغيرهم .

ولم يكف المبرد بنقد التشبيه من حيث جودته أو رداءته بل تعداه الى

الحديث عن الشعراء ومذاهبهم في الشعر . يذكر أن أبا نواس من أكثر المحدثين

تشبيها ويمرّو ذلك الى اتساعه في القول وكثرة تغننه واتساع مذاهبه .^(٣)

وقد كان من أبرز خصائص نقد اللغويين إثارهم للشعر القديم لا لشيء إلا لحاجتهم

الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون إذ رأوا أن اسلم اللغة ما تكلم به

القدماء . وكان هناك منحنى الأدباء والشعراء الذي اهتم بالمحدث وأولاه عناينة

كبيرة . فقد ظهرت المدرسة البيانية التي تغننت في البديع وبدأت ببشائر

الذي كان يعد رأساً لها وكان من أبرز رجالها ابن هرمة ، والمتأني ، ومنصور

التمري ، وأبو نواس ، ومسلم بن الوليد ، وأبو تمام . وقد أخذ هؤلاء الشعراء

(١) المبرد . الكامل . ج ٢ ص ٦٦

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٥

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٩١

يصورون الحياة الجديدة التي شهدتها مصر المباسي أحسن تصويراً فاتهم
شعرهم برقة العبارة وتعميق المعاني واخذوا في زخرفة الصياغة والاكثار من البديع
والتفنن فيه .

كما اخذ اصحاب هذا الاتجاه يعمنون بتحليل الشعر المحدث والوقوف على اهم
خصائصه وأشاروا الى مواطن الجودة او الرداءة فيه ووازتوا بينه وبين الشعر
القديم وادركوا ما بين المذهبين الشعرين من تفاوت . ولعل الصراع النقدي
الذي دار حول مذهب ابي تمام في الشعر الذي اغرق في الاستثمارات البعيدة
حتى شغل النقاد في القرن الثالث لعل ذلك الصراع يعطينا صورة واضحة
للقد الادبي عند الادباء المحدثين . وكان خير من يمثل هذا الاتجاه في النقد
ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٠ هـ الذي اهتم بنقد المحدثين وكتب رسالة في محاسن
شعر ابي تمام ومساوئهم والمنحى الثالث الذي يمثلها العلماء المتأثرون بمنطق
ارسطوطاليس^(١) ، وهو لا يحاولون ان يضعوا مقاييس ثابتة لنقد الشعر تعتمد
التقنين والتقييد . وقد سبقت هذه المرحلة - مرحلة التقنين - المرحلة
المنهجية التي يمثلها الامدي والجرجاني والتي اكملت بعبد القاهر . فهذا
الاتجاه الثالث اجنبي محض ، لا يتصل بالقديم ، ولا يركن الى اصوله ، فهو يستمد

(١) في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ترجم اسحاق بن حنين كتاب الخطابة
لأرسطو ، وقد قرأه قدامة وانتفع بأصوله في نقد الشعر العربي .

قواعده الأساسية من اليونان . وكان أبو الفرج قدامة بن جعفر صاحب كتاب نقد الشعر أصدق مثال لهذا المنحى ، فقد حاول أن يفسر الشعر العربي بأصول من البلاغة والنقد عند اليونان ، بالرغم من أن الأدب العربي ليس طبيعته الخاصة وتقاليده ، وحالاته الاجتماعية التي لا يمكن بحال من الأحوال أن تخضع لأصول اجنبية تختلف معها في المذاهب والمناحي وطرق التفكير . وهناك المنحى الرابع . ويتمثل في مذهب العلماء الذين جمعوا بين القديم والحديث في اعتدال . فقد أخذوا نصيبا كبيرا من التراث العربي قديمه وحديثه وشاركوا في العلوم الثقافية الاجنبية ، فتأثروا بالفلسفة والبلاغة والمنطق فقاموا بتنظيم الأفكار النقدية التي وصلتهم من القدماء ، ووضعوها في أصول وقواعد ، ثم أضافوا اليها بعض نظراتهم النقدية الحديثة ، فجاء لهم ذوق خاص في نقد الأدب ، وكانوا محتدلين في نظراتهم وفي أحكامهم النقدية ، يحاولون التوفيق بين الاتجاهات النقدية المتشعبة . وخير من يمثل هذا المذهب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ . وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .

كان ابن قتيبة عالما متفتنا في مختلف العلوم تجلت عناصر ثقافته في مؤلفاته بصفة عامة ، وتجلت في كتاب " عيون الاخبار " بصفة خاصة . فقد جمع في هذا الكتاب بالإضافة الى الثقافة العربية الاسلامية ثقافات أخرى كثيرة ، مثل الفارسية والهندية ، والنبطية ، والسريانية ، واليونانية ، والكتب المقدسة .

ولقد اتخذ ابن قتيبة لنفسه موقفا خاصا في نقد الأدب ، فنظم الافكار النقدية التي وصلتته من القدماء ، ووضعها في أصول وقواعد ، وأضاف إليها بعض نظراته النقدية التي انفرد بها ، واتصف بموقفه التوفيقى في كثير من القضايا النقدية التي عالجها . وقد طالب ابن قتيبة الأدباء بالتوازن في مجالات المعرفة وحاول أن يفرق بين الروح العلمية والذوق الأدبى ، فرأى أن انصراف الأديب الى المصطلحات الفلسفية وعلوم المنطق يبعده عن تذوق الأدب . فقال : " فانى رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين ، ومن اسمه متطيرين ولاهله كارهين فأبعد غايات كاتبنا في كتابته أن يكون حسن الخط قويم الحروف وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا في مدح قينة أو وصف كأس ، وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب ، وينظر فى شيء من القضاء وحده المنطق ، ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف ممناه ، وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدري من نقله ولو أن هذا المعجب بنفسه الزارى على الاسلام برأيه نظر من جهة النظر لأحياء الله بنور الهدى وشلج اليقين ، ولكنه طال عليه أن ينظر فى علم الكتاب ، وفى اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وفى علوم العرب ولغاتها وآدابها فنصب لذلك وعاداه وانحرف عنه الى علم قد سلمه له ولا مثاله المسلمون ، وقل فيه المتناظرون ، له ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يسهول بلا جسم " . (١)

ومع ذلك لم يسلم ابن قتيبة من تلك الروح العلمية التي دعى الى عدم التوغل فيها ، والتي طغت على بعض نظراته النقدية التي عالجها في كتاب الشعر والشعراء .

الباب الاول

" ابن قتيبة "



(الفصل الأول)

* ابن قتيبة *

١ حياته وأثره

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة^(١) الديلمى ، لم تحدثنا كتب المراجع عن أبيه مسلم وكل ما نعرفه عنه هو اسمه فقط . إلا أن أبا محمد قد ذكر

(١) كل المراجع تذكره بهذا الاسم ما عدا الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية " القاهرة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م " ج ١ ص ٢٦٠ فانها تسميه " أبا عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة المروزي .

وقد تناولت الكتب التالية ترجمة ابن قتيبة وتسجيل آثاره :

الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد (مصر ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م) ج ١ -

ص ١٧٠ - ١٧١ . ابن الأثير . الباب (مصر ١٣٥٦هـ) ج ٢ ص ٢٤٢ .

ابن النديم . الفهرست (مصر ١٣٤٨هـ) ص ١١٥ - ١١٦ .

ابن خلكان . وفيات الأعيان . (مصر ١٣١٠هـ) ج ١ ص ٣١٤ - ٣١٥ .

ابن الأنباري . نزهة الألباء . (مصر ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م) ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

عمر رضا كحالة . معجم المؤلفين . (دمشق ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م) ج ١ ص ١٥٠ .

السيوطي . بغية الوعاة . (مصر ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) ج ٢ ص ٦٣ - ٦٤ .

والمزهر . (مصر بدون تاريخ) ج ٢ ص ٤٦٥ .

ابن الجوزي . المنتظم . (حيدرآباد ١٣٦٠هـ) ج ٥ ص ١٠٢ .

المسقلاني . لسان الميزان (حيدرآباد ١٣٣٠هـ) ج ٣ ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

الأزهري . تهذيب اللغة (مصر ١٣٨٤ - ١٩٦٤م) ج ١ ص ٣٠ - ٣١ .

النووي . تهذيب الأسماء واللغات (مصر بدون تاريخ) ج ٢ ص ٢٨١ .

ابن الأثير . الكامل في التاريخ (بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ج ٧ ص

٤٣٨ .

ابن تخرى بردى . النجوم الزاهرة (مصر ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) ج ٣ ص

٧٥ - ٧٦ .

ابن كثير . البداية والنهاية في التاريخ (مصر ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) ج ١١ ص

٤٨ - ٥٧ .

القفطي . إنباء الرواة (مصر ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م) ج ٢ ص ١٤٣ .

الذهبي . تذكرة الحفاظ (حيدرآباد ١٣٣٣هـ) ج ٢ ص ١٨٧ .

العبري في خبر من غير (الكويت ١٩٦١م) وميزان الاعتدال (مصر ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣)

ج ٢ : ص ٥٠٣ .

- ابن العماد . شذرات الذهب (مصر ١٣٥٠ هـ) ج ٢ . ص ١٦٩ .
ابو الطيب اللغوى . مراتب النحويين (مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م)
ص ٨٤ - ٨٥ .
السمعانى . الانساب (طبعة بالزنكوغرافى ١٩١٢ م) ص ٤٤٣ .
اليافعى . مرآة الجنان " بيروت ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م " ج ٢ . ص ١٩١ .
اسماعيل باشا البغدادي . هدية العارفين (طبعة بالأوفست طهران
١٣٨٧ هـ) ص ٤٤١ .
احمد امين . فضحى الاسلام (مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م) ج ١ ص ٤٢٥ .
الزركلى . الاعلام (مصر ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م) ج ٤ . ص ٢٨٠ .
البستاني . دائرة المعارف (بيروت ١٩٦٠) ج ٣ . ص ٤٤٩ .
مجلة تراث الانسانية (القاهرة ١٩٦٤ م) ج ٢ . ص ٣٣٠ وما بعدها .
سلسلة اعلام العرب ٢٢ (مصر ١٩٦٣ م) .
سلسلة نوابغ الفكر العربى ١٨ (مصر ١٩٦٥ م) .
وانظر التمرير به فى كنبه التاليف :-
مقدمة الجزء الرابع من عيون الاخبار (مصر ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م نسخة
بالأوفست ١٩٧٣ م)
ومقدمة كتاب الميسر والقдах (القاهرة ١٣٨٥ هـ) ومقدمة تأويل مشكل
القرآن (مصر ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م) .
ومقدمة كتاب المعارف (مصر ١٩٦٩ م) ومقدمة كتاب ادب الكائنات .

(١) انه أخذ عنه في بعض كتبه ، وان كان ما أخذه عنه قليلا .
وينحدر ابن قتيبة من اصل فارسي وقد صرح بذلك في قوليه حاجبا
الشعوبية : ^(٢) " فلا يمنحني نسب في العجم أن أدفعها عما تدعيه لها جهلتها " .
ويقال له " القتيبي " او " القتي " نسبة الى جده قتيبة ، كما
يلقب ايضا بلقب " المروزي " لان والده من مرو .
أما نسبه الى الدينور ^(٣) فلانه ولي قضاءها فترة من الزمن فنسب اليها .
ولم تحدد المراجع التي كتبت عنه تلك الفترة التي اشتغل فيها بالقضاء في الدينور ،
ولم يشر هو في كتبه الى تلك الإقامة . والمصروف عن ابن قتيبة انه لم يكن على
صلة كبيرة بمعظماء الدولة العباسية ، اللهم الا علاقته بوزير المتوكل والمعتصم
" أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان " الذي أهدى له ابن قتيبة
كتابه " ادب الكاتب " كما اشار الى ذلك في مقدمة الكتاب ^(٤) . ولعل تلك الصلة
بالوزير العباسي هي التي مكنته من تولي قضاء الدينور كما اشار الى ذلك ابن السيد
البطليوسي ^(٥) .

- (١) انظر . ابن قتيبة . عيون الأخبار . ج ١ ص ١٤٢ . وج ٢ ص ٣٠٧ .
(٢) محمد كرد علي . رسائل البلقاء (كتاب الحرب) . مصر ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م .
ص ٢٦٩ .
(٣) الدينور بكسر الدال وسكون الياء وفتح النون والواو . مدينة من أعمال الجبل
قرب قرميسين " انظر . ياقوت الحموي . معجم البلدان " بيروت ١٣٧٥ هـ -
١٩٥٦ م " ج ٢ ص ٥٤٥ و " القفطي . ابناء الرواة . ج ٢ ص ٤٣ - ٤٤ .
و " الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية . ج ٩ ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
(٤) انظر . ابن قتيبة . ادب الكاتب . المقدمة . ص ٥ .
(٥) انظر . ابن السيد البطليوسي . الاقتضاب في شرح ادب الكاتب " بيروت ١٩٠١ م .
ص ٢٤ .

x x x x

على أن كثيرا من الذين ترجموا لابن قتيبة لم يهتموا بذكر السنة التي ولد فيها ،
أما الذين اهتموا بمولده فيجمعون على أنه ولد سنة ٢١٣ هـ . ولا خلاف بينهم
في ذلك .

ألا أنهم اختلفوا في مكان الولادة . فابن الاثير وابن النديم وابن
الانباري يذهبون الى انه ولد في الكوفة ، ولذلك يطلق عليه لقب " الكوفى "
وقال آخرون : (١) ان مولده كان في بغداد .

وكما اختلف المؤرخون في البلد الذي ولد فيه اختلفوا كذلك في السنة
التي مات فيها .

وقد ذكر ابن خلكان " ٦٨١ هـ " اختلاف المؤرخين حول وفاة ابن قتيبة
فقال : " انه توفي في ذي القعدة سنة سبعين ، وقيل سنة احدى وسبعين ،
وقيل أول ليلة من رجب وقيل منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين . " (٢)

ثم يرجع ابن خلكان أن القول الأخير هو أصح الأقوال ، وهو ما أخذ به
جل من ترجموا لابن قتيبة . ولعل ما يؤيد ترجيح ابن خلكان ومن وافقه
من المؤرخين ما رواه ياقوت في معجم البلدان عن بلدة " بيانة " وهي بلدة

(١) انظر السمعاني . الانساب : ص ٤٤٣ . والقفطي . انباه الرواة : ج ٢ :

ص ١٤٣ .

(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان : ج ١ : ص ٣١٥ .

اندلسية من أن قاسم بن أصبغ بن يوسف البلياني رحل منها إلى المشرق

سنة ٢٧٤ هـ وأخذ عن جماعة من علمائه منهم ابن قتيبة^(١) .

x x x x

ويحيط الفموض بنشأة ابن قتيبة الأولى إذ لا نعرف شيئاً عن طفولته ولا صباه ، وكل ما نعرفه أنه قضى معظم حياته في بغداد يأخذ عن علمائها ، كما قضى فترة من حياته في " الدينور " ولقد عاش أكثر حياته في بغداد وهي يومئذ حاضرة الدولة العباسية وملتقى العلماء في كل فن ، وموطن رواد المعرفة من جميع أقطار الدولة الإسلامية الواسعة ، وذلك أثرت حياة بغداد العلمية في نشأته الفكرية ، فكان له سهم وافر من كل لون من ألوان العلوم ، وكان يساهم شغف بأن يتعلق من كل علم بسبب أنه كان هذا هو الطابع العام للثقافة المربية الإسلامية في عصره فهو يقول : " وقد كنت في عنقوان الشباب وتطلب الآداب أحب أن أتعلق من كل علم بسبب وأن أضرب فيه بسهم " ^(٢) فجدد في تحصيل الملمم على علماء الحديث واللغة والأدب والرواية وكان من أشهر شيوخه .

أحمد بن سعيد اللحياني . صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام ، فقد قرأ عليه

أبو محمد كتابي " الأموال " و " غريب الحديث " لأبي عبيد في سنة ٢٣١ هـ .

(١) ياقوت الحموي . معجم البلدان : ج ١ : ص ٥١٨ .

(٢) ابن قتيبة . تأويل مختلف الحديث : (مصر ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م) : ص ٦١ .

وابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي " سنة ٢٣١ هـ "

وابن راهويه ابو يعقوب اسحاق بن ابراهيم " ٢٣٨ هـ "

وابو عبد الله هرملة بن يحيى التجيب " ٢٤٣ هـ "

والزيادي ابو اسحاق ابراهيم بن سفيان " ٢٤٩ هـ "

والسجستاني ابو حاتم سهل بن محمد " ٢٤٨ هـ " او " ٢٥٥ هـ "

وابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ " ٢٥٥ هـ "

وابو الفضل العباسي بن الفرج الرياشي " ٢٥٧ هـ "

وعبد الرحمن بن عبد الله بن قريب " ابن اخي الاصمى " .

فقد اخذ ابن قتيبة عن هؤلاء العلماء كما اخذ عن غيرهم ممن ذكرهم في كتبه

وقد كانوا يمثلون الواناً مختلفة من العلوم الانسانية التي استوعبها ابن قتيبة

فألف في كل فن وأقرأ كتبه ببغداد الى حين وفاته^(١) ، وانتفع بها كثير

من اخذ العلم عنه وكان من أبرز تلاميذه .

احمد بن مروان المالكى " ٢٩٨ هـ "

واحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة " ٣٢٢ هـ " .

وابو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفسوي " ٣٣٥ هـ "

وابو القاسم عبيد الله بن احمد بن بكر التميمي " ٣٣٤ هـ " .

(١) انظر ابن العماد . شذرات الذهب : ج ٢ ص ١٦٩ والخطيب البغدادي . تاريخ بغداد : ج ١٠ : ١٧٠ .

- وابو القاسم ابراهيم بن محمد بن ايوب بن بشير الصائغ " ٣١٣ هـ " .
- وابو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن السكري " ٣٢٣ هـ " .
- وابو سعيد الهيثم بن شريح الشاشي الاديب " ٣٣٥ هـ " .
- وابو محمد قاسم بن اصيف بن يوسف البياضي الاندلسي " ٣٤٠ هـ " .
- ولقد شارك ابن قتيبة علماء عصره في كل فنون العلم والمعرفة ، غير ان ذلك لم يحميه من اتهام بعض العلماء له قس على عقيدته وعلمه ، فكان بذلك موضع خلاف بين كثير من العلماء في الناحيتين الدينية والعلمية .
- وقد صحح دينه ووثقه جللة من العلماء . فقد جعله ابن تيمية " لاهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة " (١)
- وقال الخطيب البغدادي في ابن قتيبة : " وكان ثقة ديناً فاضلاً " (٢)
- وقال ابن النديم : " وكان صادقاً فيما يرويه عالماً باللغة والنحو وغريب القسرات ومعانيه ، والشعر والفقه " (٣)
- ويقول ابن خلكان : " كان فاضلاً ثقة " (٤)
- وقال ابن الجوزي : " وكان عالماً ثقة ديناً فاضلاً " (٥)

(١) ابن تيمية . تفسير سورة الاخلاص . (مصر ١٣٥٢ هـ) ص ١٢١ .
(٢) الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد . ج ١٠ . ص ١٢٠ .
(٣) ابن النديم . الفهرست . ص ١١٥ .
(٤) ابن خلكان . وفيات الأعيان . ج ١ . ص ٣١٤ .
(٥) ابن الجوزي . المنتظم . ج ٥ . ص ١٠٢ .

وقال الحافظ الذهبي : " أبو محمد صاحب التصانيف صدوق قليل الرواية " (١)

وقال ابن كثير في القتيبي : " صاحب المصنفات البديعة المفيدة ، المحتوية

على علوم جمّة نافعة " (٢)

وعلى هذا أكثر العلماء الذين ترجموا لابن قتيبة . غير أن هناك آخرين

اتهموه في عقيدته محاولين بذلك الانتقاص منه والفض من شخصيته بالتشهير به .

فقد روى ابن تفرى بردى عن البيهقي قوله في ابن قتيبة : أنه " كان يــــرى

رأى الكرامية " (٣) ويروى السيوطى عن الدارقطنى أن ابن قتيبة " كان يميل

الى التشبيه " (٤) على أن البيهقي والدارقطنى متأخران يفصل بينهما وبين ابن قتيبة

أكثر من قرن من الزمن ومن هنا لا يوثق باتهامهما إياه بالزيف . ولو أن ابن

قتيبة كان يرى رأى الكرامية أو كان يميل الى التشبيه لأخذ ذلك عليه

من عاصره من العلماء ، وما يدفع ذلك الاتهام أيضا اشتغال ابن قتيبة بالقضاء

وإنصافه بالفضل والوقار ، كما أنه كان فى مؤلفاته شديد الإخلاص للامــــلام

والمسلمين يخص العرب دائما بالفضل لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بحث فيهم .

(١) الذهبي . ميزان الاعتدال . ج ٢ . ص ٥٠٣ .

(٢) ابن كثير . البداية والنهاية فى التاريخ . ج ١١ . ص ٤٨ .

(٣) ابن تفرى بردى . النجوم الزاهرة . ج ٣ . ص ٧٦ .

(٤) السيوطى . بغية الوعاة . ج ٢ . ص ٦٣ .

وبذلك كان خير مدافع عن الدين وعن العرب . ثم ان جلة من كتبوا عن ابن قتيبة وثقوه من جهة عقيدته كما أوردنا بعض اقوالهم فيه كابن تيمية والخطيب البغدادي وابن النديم وابن خلكان وابن الجوزي وغيرهم . ومن الأدلة الواضحة على توثيق عقيدة ابن قتيبة كنبه الدينية التي تدل على استقامته وفضله ووقاره وحرصه على الدفاع عن الاسلام .

وكيف يمكن لهؤلاء الذين اتهموا ابن قتيبة في عقيدته أن يوقفوا بين ما قدموا من اتهام وبين ما كان لهذا المتهم من مساهمة فعالة في الرد على المشبهة حيث صنف كتابا في هذا الفرض سماه " الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة " وقد نسب المشبهة الى الافتراء على الله في احاديث التشبيه (١)

أما فيما يتعلق باتهامهم لابن قتيبة في علمه فقد نسب ابن الانباري كما روى الازهرى الى الغفلة والغباوة وقلة المعرفة . (٢)

وقال ابو الطيب : ((وكان ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري اخذ عن ابن حاتم والرياشي وعبد الرحمن بن اخي الاصمعي . وقد اخذ ابن دريد عن هؤلاء كلهم وعن الاثنان داني ، الا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن اخذها عن ثقات ، وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه

(١) انظر ابن قتيبة . تأويل مختلف الحديث ص ٢ - ١٣ .

(٢) الازهرى . تهذيب اللغة . ج ١ ص ٣١ .

فى النحو وكتابه فى تعبير الرؤيا ، وكتابه فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم
وعلى الله ، وعيون الأخبار ، والمعارف والشعراء ، ونحو ذلك مما أزرى به
عند العلماء ، وان كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له^(١) .
وروى ابن تفرى بردى قال : " وكان خبيث اللسان يقع فى حق كبار العلماء^(٢) .
يعنى ابن قتيبة . لقد كان ابن قتيبة ثقة فى علمه طرق كل ألوان الثقافة التى برزت
فى عصره ، فكانت مؤلفاته بديعة مفيدة احتوت على معارف كثيرة ، أفاد منها الخلف
بعده . وعلى ذلك فهو لم يشتهر فى علمه من معاصريه كما وثقه فى ذلك أكثر من ترجموا
له .

ويظهر أن هؤلاء قد أرادوا من إبراز تلك المآخذ الانتقاص من هخصية
ابن قتيبة ومكانته العلمية^(٣) . وما لا شك فيه أن ابن قتيبة كان واسع الاطلاع عالما
باللغة والشعر والنحو وغريب القرآن ومعانيه بالاضافة الى تزوده بالثقافات الاجنبية
التي عرفها عصره ، فهو كما يقول احمد امين : " يعرف كثيرا ويجمع كثيرا ويؤلف
كثيرا " . الا أنه لم تكن له تلك الشخصية القوية القادرة على هضم كل المعارف التى
جمعها وألفها . كما انه كثيرا ما يعتمد النقل فى مؤلفاته كما يظهر ذلك جليا فى

(١) ابو الطيب ، مراتب النحويين ، ص ٨٤ - ٨٥ .
(٢) ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٧٦ .
(٣) تناول السيد احمد صقر فى مقدمة نشرته لكتاب تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة
" ص ٤٥ - ٧٦ " موضوع اختلاف العلماء حول ابن قتيبة جرحا وتعديلا ووازن -
بين الأقوال المختلفة موازنة دقيقة وانتهى الى تأييد آراء من وثقوا به
مستدلا على ذلك بأدلة قاطعة من مؤلفات ابن قتيبة نفسه .
(٤) احمد امين ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٤٢٥ .

كتاب عيون الاخبار وربما كان هذا هو السبب في طعن اولئك المؤلفين عليه .
أما ما وصفه به ابن تغرى بردى من انه كان خبيث اللسان ، وأنه يقع في -
حق كبار العلماء فذلك ما لا يتفق مع شخصية ابن قتيبة العالم الذي اتصف
بالفضل والوقار والخلق الكريم . وقد أنكر ابن قتيبة هذا الخلق من غيره إذ قال
في مقدمة ادب الكاتب : " ونحن نستحب لمن قبل عنا واثم يكتبنا أن يؤدب نفسه
قبل أن يؤدب لسانه ، ويهذب اخلاقه قبل أن يهذب الفاظه ، ويصون مروءته
عن دناءة الخيصة ، وصناعته عن شين الكذب ^(١) " ثم قال في موضع آخر
" فاما السباب وشم السلف ، وذكر الاعراض بكبير الفواحش فمما لا نرضاه لخساس
العبيد وفسار ولدان ^(٢) " .

(١) ابن قتيبة . ادب الكاتب . المقدمة . ص ١١ .
(٢) المصدر السابق . المقدمة . ص ١٢ .

x x x x x

كانت الحياة التي نشأ في ظلها ابن قتيبة في بغداد حياة علمية اتسمت بحركة فكرية واسعة جمعت بين التراث العربي وبين آثار الأمم الأجنبية فتأثر ابن قتيبة بذلك الحياة العلمية . فقد درس الثقافة العربية ووقف على كثير من الثقافات الأجنبية التي برزت في عصره ، فتناول في مؤلفاته الواسعة من المعرفة ، وكان في كل ذلك يحاول أن يحيط بكل علوم العصر شأنه في ذلك شأن الجاحظ وغيره من علماء ذلك العصر .

وقد اشترك في النزاع بين أهل السنة والمعتزلة وكان من رؤساء أهل السنة وأدلى بدلوه في مشكلة خلق القرآن التي نماها المتكلمون بعد أن مال إلى جانبهم المؤمنون فقويت شوكتهم . وقد انكر عليهم جلة علماء المسلمين تلك البدعة - وكان من بين المنكرين ابن قتيبة ، وألف في ذلك كتابا سماه " الرد على القائل بخلق القرآن " كما بسط رأيه في تلك المشكلة في كتابه " الاختلاف في اللفظ والرد على المشبهة والجهمية " . ووقف من أهل الرأي موقف المداء ، وحمل عليهم حملات شديدة في كتابه " تأويل مختلف الحديث " وكان يناقشهم مناقشة علمية سليمة يوضح لهم فيها فساد آرائهم وأحكامهم وتناقضها .

(١) كما شارك في الرد على الشيعة عندما استفحل أمرها ، وحاولت أن -

(١) انظر . ابن عبد ربه . المعقد القريد : (القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢) ج ٣ ص ٤٠٨ - ص ٤٠٩ . ومحمد كرد علي . رسائل البلفاء : (كتاب العرب) ص ٢٦٩ - ٢٩٥ .

تنتقص من العرب ، وقد ألف ابن قتيبة كثيرا من الكتب الدينية التي تناولت شرح
مشكل القرآن والحديث والفقه .

وكان الى جانب تبحره في العلوم الدينية ادبيا واسع الاطلاع ، وقد قرر
مفهوم الادب على اساس أن الاديب من طرق فنونا كثيرة من العلم ، فهو يقول :
" من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون ادبيا فليتسع
في العلوم " (١) ولذلك فقد استأثرت الناحية الادبية من لغة وشعر ومعارف
عامة بجهود ابن قتيبة ، فقد شارك بالاضافة الى ما تقدم في الخلاص النحوي
الذي نشأ بين علماء البصرة وعلماء الكوفة ، وعده بعضهم رأس المدرسة البغدادية (٢)
التي قامت بين مدرستي البصرة والكوفة . وقد شرح غريب القرآن والحديث ، واللف
كتابه " ادب الكاتب " في اللغة . كما تناول في بعض كتبه المعارف العامة ، والانساب
والاحداث التاريخية والاعخبار ، وكأنه بذلك أراد أن يعاير من نهجوا هذا
المنهج من معاصريه في محاولتهم الاحاطة بكل معارف العصر ، كالجاحظ مثلا الذي
تأثر به ابن قتيبة (٣) وسار على طريقته في كثير مما كتب .

أما فيما يتصل بالشعر ونقده ، فإنه قد جمع في كتبه الأدبية مادة غزيرة

-
- (١) ابن عبد ربه . الحقد الفريد . (مصر ١٣٥٩ - ١٩٤٠) ج ٢ ص ٢٠٨
(٢) انظر بروكلمان . تاريخ الادب العربي (مصر ١٩٦٨) ج ٢ ص ٢٢١ .
والترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية - ج ١ - ص ٢٦٠ - ٢٦١ .
(٣) لقد تأثر ابن قتيبة بالجاحظ في شغفه بأن يلم في كتبه بجميع فنون المعرفة
كما نقل عن الجاحظ في بعض كتبه . حيث يقول في " عيون الاخبار " : " ومما
أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه قال : " ابن قتيبة . عيون الاخبار
ج ٣ ص ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ . وانظر تأثر ابن قتيبة بالجاحظ في كتاب " عبد
الحكيم بليغ . النشر الفنى وأثر الجاحظ فيه (القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م) ص
٢٧٥ - ٢٨٠ .

من أشعار الشعراء دلت على علو كعبه في هذا الفن ، فقد أورد في " عيون الأخبار " كثيرا من الأشعار المشاكلة لما يورده من الأخبار والنوادر اضاف الى ذلك ما جمعه من أخبار الشعراء ، وأشعارهم في الكتب الأدبية الأربعة التي أفرد بها عن كتاب " عيون الأخبار " (١) ، ثم جمع غريب الشعر في كتاب كبير سماه " كتاب المعاني الكبير " وخص هذا الكتاب بناحية واحدة هي : شرح المعاني الغريبة في الشعر ، وكأنه أراد بعمله هذا أن يجعل من دراسة لغة الشعر مقدمة لنقده . ومن مظاهر اتساع ثقافته الأدبية أن ترجم لمائتين وستة من الشعراء في كتاب " الشعر والشعراء " فتحدث عن أخبارهم وأشعارهم منذ العصر الجاهلي حتى النصف الأول من القرن الثالث الهجري . ولذلك تمتدبر كتبه الأدبية من أهم المراجع القديمة في تاريخ الأدب .

وقد برزت شخصية ابن قتيبة الناقد في تلك المقدمة القيمة التي صدر بها كتاب الشعر والشعراء والتي أودعها آراءه النقدية التي جمعها من سابقه ، التي جانب بعض النظرات النقدية التي أفرد بها .

ولا شك أن عمله في النقد كان خطوة موفقة الى الأمام ، إلا أنه حاول فيها أن يجعل للنقد قواعد ثابتة ، فمهد بذلك لقاعدة التقنين والتعميد في النقد

(١) انظر ابن قتيبة . عيون الأخبار . ج ١ . المقدمة ص ٥ .

العربي ، وهي القاعدة التي نهاها قدامة بن جعفر من بعده .
ولم يمل ابن قتيبة الى محاولة وضع قواعد ثابتة للنقد العربي الا بتأشير
من تلك الثقافات الأجنبية التي عرفت في عصره ، وامتزجت عنده بالتراث العربي .
وقد تجلت عناصر تلك الثقافات بوضوح في كتابه " عيون الأخبار " الذي
نقل فيه كثيرا من أخبار الفرس ، واليونان ، والهند وغيرهم من الأمم ، كما
اطلع على الكتب السماوية واستشهد في كثير من آرائه ببعض ما جاء في التوراة والانجيل
ومذ لك تناولت ثقافة ابن قتيبة جميع معارف عصره ، مما كان له اثره الكبير
في طريقة التأليف عنده . فقد كان على درجة كبيرة من التنظيم والترتيب
والتبويب وحسن الاختيار ، فاختط بذلك لنفسه منهجا في تأليفه مغايرا لمناهج
معاصريه ، كالجاحظ في " الحيوان " و " البيان والتبيين " والمبرد في
" الكامل " فلم يصدر اى منهج ~~قصصا~~ عن منهج منظم في كتبه .
غير ان ابن قتيبة يعتمد اكثر مما يفعل الجاحظ على المادة الأدبية المجموعة
من مصادر كثيرة ومتنوعة ، وهو كثيرا ما يشير الى تلك المصادر كما فعل في كتابه
" عيون الأخبار " .

حيث قال : " واعلم اننا لم نزل نتلقط هذه الاحاديث في الحدائشة
والاكتهال عن هو فوقنا في السن والمعرفة ، وعن جلسائنا واخواننا ، ومن كتب
الأعاجم وسيرهم ، وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم ، وعن هو دوننا " (١)

(١) ابن قتيبة . عيون الأخبار . ج ١ . المقدمة . ص ٣٥

غير أن هذا الاعتماد على المادة المجموعة من مصادر سابقة وإن جعل ابن قتيبة في مرتبة فكرية أدنى من مرتبة الجاحظ ، فإنه جعل مؤلفات ابن قتيبة صورة صادقة لثقافة العصر الذي كتبت فيه على تنوع هذه الثقافة وتعدد جوانبها مما يجعل لهذه المؤلفات قيمة خاصة . وهذا ما لم يدركه المعاصرون فحسب يسئل فطن اليه جلة من العلماء في القديم .

x x x x x x

وقد حفظ التاريخ لأبي محمد عبد الله بن مسلم أكثر من خمسين مؤلفاً تناولت ألواناً من فنون المعرفة التي عرفها القرن الثالث الهجري ٤ فمن تلك المؤلفات ما وصلنا ومنها ما عدت عليه عوادى الأيام فلم نعرفه إلا بالاسم فقط وقد ذكر أكثر من ترجم لابن قتيبة الكتب التالية :

- ١- كتاب أدب الكاتب : " مطبوع " ١٢- كتاب المسائل والاجوبة " مطبوع "
- ٢- كتاب المعارف : " " ١٣- كتاب الرد على المشبهة : ذكره ابن التديم ، والسيوطى والقفطى ، ويبدو أنه الكتاب الذى طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٩ هـ بتحقيق المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثبرى باسم كتاب " الاختلاف فى اللفظ والمعنى والرد على الجهمية والمشبهة " .
- ٣- كتاب عيون الاخبار : " "
- ٤- كتاب المعانى الكبير : " "
- ٥- كتاب الشمر والشمرات : " "
- ٦- كتاب غريب القرآن : " "
- ٧- كتاب تأويل مشكل القرآن : " "
- ٨- كتاب تأويل مختلف الحديث : " "
- ٩- كتاب الاثرية : " "
- ١٠- كتاب الانوار : " "
- ١١- كتاب الميسر والقдах : " "
- ١٢- كتاب فضل الرب على المعجم : ذكره ابن قتيبة فى كتابه عيون الاخبار ج ٢ ص ١٨٥ وذكره فى الشمر والشمرات ج ١ ص ٦٤ ونقل عنه ابن عبد ربه فى المقدم القريد ج ٣ ص ٤٠٨ - ص ٤١٠ ونشرت منه قطعة فى رسائل البلخا من ص ٢٦٩ الى ص ٢٩٥ .
- ١٥- كتاب غريب الحديث : ذكره

ابن قتيبة فى كتابه " تأويل مختلف الحديث " ص ١٢ ص ١٧٠ ص ٢١٢ وذكره

ابن النديم ، والخطيب ، والسيوطي ، وابن خلكان ، وابن كثير ، وابن
الانباري ، والقفطي وابن العماد ، ومنه نسخة في الخزانة الظاهرية
بدمشق ، تشكل الثلث الاول والثالث الاخير من هذا الكتاب تحت رقم
" ٣٤ ، ٣٥ لفه " .

١٦- كتاب الجرائم : ومنه نسخة في الخزانة الظاهرية بدمشق تحت رقم " ٥٩ لفه "
١٧- كتاب الالفاظ المغربة بالالفاظ المعربة : ومنه نسخة خطية بمكتبة جامع القرويين
رقم " ١٢٦٢ لفه " .

١٨- معاني القرآن : ذكره السيوطي في بغية الوعاة .
١٩- كتاب القراءات : ذكره ابن النديم في الفهرست .
٢٠- اعراب القراءات : هكذا سماه ابن خلكان في وفيات الاعيان والقفطي في انباء
الرواه ، ويذكره ابن النديم في الفهرست والسيوطي في البغية باسم " اعراب
القرآن " ولا نعلم ما اذا كان هذا الكتاب والكتاب السابق له كتابا واحدا ام -
كتابين منفصلين .

٢١- الرد على القائل بخلق القرآن : ذكره السيوطي في البغية .
٢٢- آداب القراءة : ذكره صاحب كشف الظنون .
٢٣- مشكل الحديث : ذكره الخطيب وابن الانباري وابن خلكان والقفطي وابن العماد
وذكر ابن النديم كتاب " المشكل " لابن قتيبة ولا ندرى هل قصد به كتاب

" مشكل القرآن " الذي تقدم ذكره أم قصد به " مشكل الحديث " هذا .

٢٤- اصلاح غلط ابن عبيد : هكذا ذكره السيوطي في البقية ، وذكره ابن

النديم باسم " اصلاح غلط ابن عبيد في غريب الحديث " وذكره القفطي

وابن خلكان وابن الصماد باسم " اصلاح الغلط " .

٢٥- دلائل النبوة : هكذا ذكره ابن النديم والسيوطي وحاجي خليفة . وذكره

ابن الانباري باسم " دلائل النبوة من الكتب المنزلة على الانبياء عليهم

السلام " .

٢٦- جامع الفقه : ذكره ابن النديم بهذا الاسم وسماه القفطي " كتاب الفقه "

٢٧- كتاب التقييد : ذكره ابن النديم وابن خلكان والقفطي وحاجي خليفة .

٢٨- كتاب عيون الشعر : ذكره ابن النديم وقال : " انه يحتوى على عشرة

كتب منها : " كتاب المراتب ، كتاب القلائد ، كتاب المحاسن ، كتاب -

المشاهد ، كتاب الشواهد ، كتاب الجواهر ، كتاب المراكب " . (١)

٢٩- كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر : ذكره ابن النديم بعد ذكر كتاب

" عيون الشعر ويظهر ان كتاب المراتب جزء من كتاب " عيون الشعر " .

(١) ابن النديم . الفهرست : ص ١١٥

٣٠- معانى الشعر الكبير : ذكره ابن النديم بهذا الاسم وقال : " انه يحتوى

على اثني عشر كتابا .

- ١- كتاب الفرس — ستة واربعون بابا
- ٢- كتاب الابل — ستة عشر بابا
- ٣- كتاب الحرب — عشرة ابواب
- ٤- كتاب القدور — عشرون بابا
- ٥- كتاب الديار — عشرة ابواب
- ٦- كتاب الرياح — احدى وثلاثون بابا
- ٧- كتاب السباع والوحوش — سبعة عشر بابا
- ٨- كتاب الهوام — اربعة عشر بابا
- ٩- كتاب الايمان والدواهي — سبعة ابواب
- ١٠- كتاب النساء والغزل — باب واحد
- ١١- كتاب الشيب والكبر — ثمانية ابواب
- ١٢- كتاب تصنيف العلماء — باب واحد

٣١- ديوان الكتاب : ذكره ابن النديم ، والسيوطى ، وحاجى خليفة .

٣٢- تقويم اللسان : ذكره حاجى خليفة ، وقد يكون هذا الكتاب هو الذى انتظم

فى كتاب ادب الكاتب .

- ٣٣- كتاب خلق الانسان : ذكره ابن النديم ، والسيوطى ، وحاجى خليفة
- ٣٤- كتاب الخيل : ذكره ابن النديم وابن خلكان ، والسيوطى والقفطى .
- ٣٥- جامع النحو الكبير : ذكره ابن النديم والسيوطى والقفطى .
- ٣٦- جامع النحو الصغير : ذكره ابن النديم والسيوطى والقفطى .
- ٣٧- التسوية بين المرب والمجم : ذكره ابن النديم والقفطى ويجوز ان يكون
هذا الكتاب هو الكتاب الذى تقدم ذكره باسم " فضل المرب على المجم "
- لما بينهما من تشابه وتقارب فى الاسم .
- ٣٨- كتاب الحكاية والمحكى : ذكره ابن النديم .
- ٣٩- كتاب فرائد الدر : ذكره ابن النديم .
- ٤٠- حكم الامثال : ذكره ابن النديم
- ٤١- آداب العشرة : ذكره ابن النديم .
- ٤٢- كتاب العلم : ذكره ابن النديم والقفطى وقال ابن النديم : انه فى خمسين
ورقة " .
- ٤٣- كتاب القلم : ذكره السيوطى بهذا الاسم ولعل هذا الكتاب هو الكتاب السابق
- " كتاب العلم " فقد يكون التشابه بينهما من تحريف النساخ .
- ٤٤- تعبير الرؤيا : هكذا ذكره ابن النديم وابو الطيب . وذكره ابن قتيبة
فى مقدمة عيون الاخبار باسم " تاويل الرؤيا " .
-

- ٤٥ — الجوابات الحاضرة : ذكره السيوطى وحاجى خليفة .
- ٤٦ — كتاب الفرسى فى معانى الشعر : ذكره القفطى فى انباء الرواه ، ويبدو ان هذا الكتاب اما ان يكون جزءا من كتاب " معانى الشعر الكبير " الذى تقدم الحديث عنه لان اول جزء من ذلك الكتاب ورد باسم " كتاب الفرسى " واما ان يكون هذا الكتاب هو كتاب " معانى الشعر الكبير " بكل ما انتظم فيه من اجزاء .
- ٤٧ — كتاب الوحش : ذكره ابن قتيبة فى كتابه الانواء ص ٤٣ .
- ٤٨ — كتاب الصيام : ذكره ابن قتيبة فى كتابه الانواء ص ١٣٠ .
- ٤٩ — كتاب الوزراء : ذكره ابن منظور فى لسان العرب اذ يقول : " والمرب تسمى من يعمل جفون السيف خلا لا . وفى كتاب الوزراء لابن قتيبة فى ترجمة ابن سلمة . حفص بن سليمان الخلال فى الاختلاف فى نسبه ، فروى عن ابن الاعرابى انه منسوب الى خلل السيف من ذلك ^(١) .
- ٥٠ — كتاب آلة الكتاب : ذكره البطلوسى فى الاقتضاب : ص ٥٩ ، ص ٨٤ ، ص ٨٧ .
- ٥١ — كتاب صناعة الكتابة : ذكره السيد احمد صقر فى مقدمته لكتاب تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة وذكر انه نقل منه الخزاعى فى كتابه " تخرىج الدلالات السمعية " ص ٣٥٨ . ولا نعلم ما اذا كان هذا الكتاب والكتاب السابق

(١) ابن منظور — لسان العرب : (بولاق ١٣٠٢ هـ) ج ١٣ : ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .

له كتابا واحدا لما بينهما من تشابه في الاسم ام كتابين منفصلين .

٥٢- استماع الفناء بالالخان : ذكره صاحب كشف الظنون .

وهناك كتاب نسب خطأ لابن قتيبة وهو كتاب " الامامة والعباسة " ويبحث
هذا الكتاب في تاريخ الخلافة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى
عهد الامين والمأمون . والذي ينفي نسبة هذا الكتاب عن ابن قتيبة
أمور كثيرة منها :

١- ان المصادر التي تحدثت عن كتب ابن قتيبة لم تذكر له هذا الكتاب

مطلقا ولم يذكره ابن قتيبة في كتبه ايضا .

٢- ان مقدمة كتاب " الامامة والسياسة " لا تتجاوز ثلاثة أسطر وهي

تمثل افتتاحية فقط على عكس ما عرف عن ابن قتيبة من اهتمامه بمقدمات

كتبه التي يرسم فيها منهجه وغرضه من التأليف .

٣- أن من يروى عنهم مؤلف هذا الكتاب لم يكونوا من شيوخ ابن قتيبة

الذين ورد ذكرهم في كتبه . فابن قتيبة لم يرو عن ابن ابي مريم وابن

عقير وغيرها .

٤- يروى مؤلف الكتاب عن ابن ابي ليلى التميمي

(١)

الذي كان قاضيا بالكوفة " سنة ١٤٨ هـ " وابن قتيبة في ذلك الوقت لم

يولد بعد .

(١) انظر . ابن خلكان . وفيات الاعيان ج ١ : ص ٥٧٢ . وانظر روايته عن ابي

ليلى في الامامة والسياسة (مصر ١٩٦٧ م) ج ٢ : ص ٦٤

٥- روى المؤلف اخباراً عن فتح الأندلس مشافهة عن مولاة لعبد الله

(١)

بن موسى شهدت الفتح على أن فتح الأندلس كان سنة ٩٢ هـ

وميلاد ابن قتيبة كان في سنة ٢١٣ هـ .

٦- ذكر مؤلف الامامة والسياسة " أن هارون الرشيد قد عهد بولاية

العهد لابنه عبد الله المأمون أولاً ثم لابنه محمد الأمين ثانياً .

وهذا خطأ في حقيقة تاريخية ثابتة لأن العهد كان للأمين

أولاً ثم للمأمون بعده وهذه الحقيقة التاريخية الثابتة" أشار إليها

(٢)

ابن قتيبة في كتابه " المعارف " .

لذلك يبدو أن اجتماع مثل هذه الأمور تكفي لنفي نسبة كتاب

" الامامة والسياسة " عن ابن قتيبة .

(١) انظر . الامامة والسياسة . ج ٢ . ص ٦٥ .

(٢) انظر . ابن قتيبة . المعارف . ص ٣٨١ .

الفصل الثاني

النقد فى مؤلفات ابن قتيبة

سبق أن أوردنا فى الفصل السابق قائمة بمؤلفات ابن قتيبة التى تناولت
الوانا شتى من العلوم والمعارف ، والتى حرص فيها على أن يجعل اللغز
والشعر والاختبار فى متناول الناضئة من الكتاب . وهذا ما أشار اليه كثيرا
فى مقدمات كتبه ، حتى ليبدو أن هذه الفكرة استأثرت الى حد بعيد بجهود
ابن قتيبة .

وقد قدم فى مجموعة كتبه الادبية ما يشهد بعلومه مكانته فى اللغة وسمعة
اطلاعه ومعرفته بأشعار العرب وأساليبهم ، والوقوف على اخبارهم . فقد جمع
فيها مادة ادبية قيمة من الشعر العربى ، تناولت موضوعات كثيرة تتصل بحياة
العرب وعاداتهم وتقاليدهم ، وأحوالهم الاجتماعية .
وهو فى جمعه لتلك المادة الفزيرة المتنوعة من الشعر يعمد الى تسميقها ،
وترتيبها ، تبعا للأخبار التى يوردها ، لتكون مشاكلة لها ، ثم يتناولها بالشرح
والتعليق ، ويستخلص ما تودى اليه معانيها من صور تمثل حياة المجتمع العربى
مع توخيهِ الإيجاز فى كل ذلك ، ليصل المتادبون وطلاب المعرفة الى بغيتهم
فى يسر وسهولة .

ونجد فى كتب ابن قتيبة الادبية صورة - واضحة لتذوقه للشعر ، فهو

يتذوقه ويحسن اختياره له ، والامثلة على ذلك كثيرة . ولعل أوضح مثال على ذلك ما أورده في كتاب " عيون الاخبار " ، حيث جمع فيه اشعاراً كثيرة رتبها تبعاً لمادة الكتاب ، فقرن الباب بشكله من تلك الاشعار التي دلت على حسن اختياره لها ، فكان من بديع اختياراته أبيات محمد بن أبي حمزة مولى الانصار التي قال عنها انها أغرب ما قيل في مصلوب ، وهي قوله :^(١)

لحمى لئن أصبحت فوق مشذب * طويل تحفيك الرياح مع القطر
لقد عشت مبسوط اليدين مسرراً * وعوفيت عند الموت من ضغطة القبر
وأقلت من ضيق التراب وغمه * ولم تفقد الدنيا فهل لك من شكر
وقد استحسنت بعض الاشعار ورأى انها تمثل الجودة في الشعر ، وأورد لها فصلاً مصغراً في الجزء الثاني من كتاب عيون الاخبار تحت عنوان " الأبيات التي لا مثل لها " . كما أورد في الجزء الرابع من الكتاب نفسه أبياتاً حسنة ففى الفزل تحت عنوان " أبيات في الفزل حسان " .^(٢)

وقد دلت تلك الاختيارات على مدى تذوقه للشعر ، وحسن اختياره له ، ويطول بنا الحديث لو استقصينا تلك الاختيارات الكثيرة المتنوعة ، وهي مبثوثة في كتبه الأدبية .

-
- (١) ابن قتيبة . عيون الاخبار - ج ٢ . ص ١٩٦ .
(٢) انظر ابن قتيبة . عيون الاخبار . ج ٢ . ص ١٩١ - ١٩٢ .
(٣) انظر المصدر السابق . ج ٤ . ص ١٣٨ - ١٤٢ .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن نقد الشعر في مؤلفات ابن قتيبة أن نتحدث
عن كتبه التي تناولت الجانب الأدبي بصفة عامة ، وأن نقدمها في شيء من التصریف
بها ، حتى نحدد أيها الصق بنقد الشعر الذي هو موضوع هذه الدراسة . وهذه
المؤلفات الأدبية هي :-

١- كتاب أدب الكاتب .

وهو من الكتب التي اشتملت على معارف كثيرة . تناول فيه ابن قتيبة
كل ما يمكن أن يحين ناشئة الكتاب في عصره ، ويدخل في اعدادهم
كدراسة اللغة والفاظها وتراكيبها ، والتدريب على الكتابة السليمة والالمام
بكثير من العلوم والمعارف ، واعتبر ذلك كله من الآلات الضرورية التي
لا بد للكاتب أن يتزود بها . وقد قسم الكتاب اربعة أقسام :

١- كتاب المصرفة .

٢- كتاب تقويم اليد .

٣- كتاب تقويم اللسان .

٤- كتاب الأبنية .

وقد صدر المؤلف الكتاب بمقدمة طويلة بين فيها حال الكتاب والأدباء
والشعراء في عصره ، وعزوفهم عن دراسة الكتاب والسنة ، وعلوم العرب ولفاتها
وآدابها ، وانصرافهم الى الفلسفة وعلم المنطق ، ورأى ان انصراف الناشئة

الى ذلك يعمدهم عن منابع اديبهم ، مما يكشف عن الروح المحافظ عند ابن قتيبة .
وقد تناولت تلك الكتب الاربعة التي انتظمها كتاب " ادب الكاتب " مباحث شتى في استعمالات اللغة ، وفي النحو والصرف ، وفي قواعد رسم الكلمات الى جانب توجيهه الناشئة الى تعلم العلوم الكونية ، كالفلك وغيره ، وهو فسى هذا الكتاب يحاول كماداته في بعض كتبه ان يجمع ما انكسه من علوم عصره .
وقد رأى ان اكتساب الناس اكبر قدر من المعارف الواسعة ضرورة لا بد من التزود بها قبل ان يتصدى للكتابة ، لان الشمول في المعرفة هو السمة المميزة للثقافة الكتاب في ذلك العصر ، لانه من شأنه ان يعين الكاتب على مواجهة كل ما يمكن ان يعرض له من مشاكل ادارية .

وقد حظى هذا الكتاب بمناية كثير من العلماء . فقد شرحه ابو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوس المتوفى سنة ٤٢١ هـ وشرحه ابو منصور موهوب بن احمد الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ وغيرهما .

وقد شرح بعضهم مقدمة الكتاب خاصة . كابن القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ومبارك بن فاخر النحوي المتوفى سنة ٣٣٨ هـ . كما شرح ابيات الكتاب فقط . محمد بن محمد الخازرنجى المتوفى سنة ٣٤٨ هـ .

٢- كتاب المعارف :

يعد هذا الكتاب من كتب التاريخ العام جمع فيه ابن قتيبة الواسع

مختلفة من المعرفة . فيه مبتدأ الخلق ، وقصص الأنبياء ، وأنساب العرب ، وأخبار
الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصحابته والتابعين ، والخلفاء ، وحملات
الحديث ، وأصحاب الرأي ، والقراء ، والنسابين ، وأصحاب الأخبار ، ورواة الشعر
والفريب والنحو والأوائل ، وذكر المساجد المشهورة ، وحدود جزيرة العرب
وأخبار الفتح ، وأديان العرب في الجاهلية ، وصناعات الأشراف ، وذكر أهـل
الماهات ، ونوادير الحوادث ، وأخبار ملوك العرب والمجم ويتخلل ذلك كله
مادة أدبية أوردها المؤلف على سبيل الاستشهاد .

وقد أشار ابن قتيبة إلى منهجه في جمع مادة الكتاب وذلك في مقدمته حيث
قال : " وكان غرضي في جميع ما اقتضت ، الإيجاز والتخفيف والقصد للمشهور من
الأنباء دون المغمور ، ولما يجرى له سبب على السنة الناس دون ما لا يجرى له سبب^(١)
ويدوان الذي دفع بأبن قتيبة إلى جمع تلك المعارف هو ما رآه من ضرورة
تعلمها والوقوف عليها لكل كاتب ومقارب . وقد أحسن المؤلف في اختيار مادة الكتاب
وتنظيمها تنظيماً دقيقاً اعتمد فيه الترتيب والتبويب المناسب بحيث يسهل على القارئ
الحصول على بغيته دون أن يكلف نفسه العناء والتعب بالبحث في ثنايا الكتاب .
كما امتاز الكتاب بمادته الفزيرة بالإضافة إلى الإيجاز المناسب الذي ينفرد

(١) ابن قتيبة . المعارف : المقدمة : ص ٦

القارئ بمواصلة القراءة دون ملل أو سأم بغير خلل أو نقص في مادة الكتاب .
ومذلك جمع بين يدى القارئ ما يحتاجه من ألوان المعرفة ، ليوفر
لنفسه حصيلة علمية وتاريخية وأدبية ، ولهذا أعطى الكتاب صورة صادقة
لثقافة العصر وكان مرجعا هاما فى كثير من فنون المعرفة .

٣- كتاب عيون الاخبار :

وهو من أشهر كتب ابن قتيبة الأدبية . وقد قسمه الى

عشرة كتب :

- ١- كتاب السلطان .
 - ٢- كتاب الحرب .
 - ٣- كتاب السؤدد .
 - ٤- كتاب الطبائع والاخلاق المذمومة .
 - ٥- كتاب الملم والبيان .
 - ٦- كتاب الزهد .
 - ٧- كتاب الاخوان .
 - ٨- كتاب الحوائج .
 - ٩- كتاب الطعام .
 - ١٠- كتاب النساء .
-

وعلى الرغم من أن المؤلف يعتمد في هذا الكتاب اعتمادا كاملا على النقل عن غيره فان الكتاب غزير في مادته ، لم تزجت فيه الثقافات العربية والاجنبية وذل فيه ابن قتيبة جهدا كبيرا دل على سعة اطلاعه في مختلف الفنون والمـلـم ، وقد اشار في مقدمة الكتاب وفي صلبه احيانا الى مصادره التي استقى منها تلك العادة القيمة التي تضمنت الأخبار الطريفة ، والشعر الرائع ، والنثر البليغ ، قال في المقدمة : " واعلم انا لم نزل نتلقت هذا الاحاديث في الحداثة والاكثـهـال عن هو فوقنا في السنن والمعرفة ، وعن جلسائنا واخواننا ، ومن كتب الاعاجم وسيرهم ، وبلاغات الكتاب في فصول من كتبهم ، وعن هو دوننا غير مستكفين أن نأخذ عن الحديث سنا لحداثته ، ولا عن الصغير قدرا لخساسته ، ولا عن الأمة الوكـهـاء لجهلها فضلا عن غيرها ، فان العلم ضالة المؤمن من حيث أخذه نعمه ولن يـزرى بالحق أن تسمعه من المشركين ، ولا بالنصيحة أن تستبطن من الكاشحين (١) "

وهو يشير الى تنوع مادة الكتاب وتعدد مستوياتها بقوله : " ولم أر صوابا أن يكون كتابي هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ، ولا على خواص الناس دون عوامهم ، ولا على ملوكهم دون سقوتهم فوفيت كل فريق منهم قسمة

(١) ابن قتيبة . عيون الأخبار . ج ١ . المقدمة . ص

ووفرت عليه سهمه % ٠٠٠ فاذا مريبك أيها المزمع حديث تستخفه أو تستحسنه ،
أو تعجب منه ، أو تضحك له ، فأعرف المذهب فيه وما اردنا به . وأعلم
أنك ان كنت مستغنيا عنه بتنسكك فان غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج
اليه ، وان الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيها على ظاهر محبتك .^(١)

والكتاب يعكس المفهوم السائد آنذاك لكلمة ادب التي كانت تضم جانبا خلقيا
يقوم على تهذيب النفس ، وغرس الفضائل فيها عن طريق تقديم الانماط الحسنة
من آداب السلوك ، كما كانت تضم جانبا ادبيا فنيا وهو تقديم النماذج الأدبية
الرائعة قصدا للامتناع من ناحية ولتقديم المادة الضرورية لتدريب الناشئة في مجال الادب
من ناحية ثانية . وقد قدم كل ذلك في صورة ميسرة اتسمت بالترتيب والتنظيم ، وقليلة
الاستطراد ، لتكون قريبة التناول ، سهلة التعلم والحفظ . وقد اشار المؤلف
الى منهجه هذا الذي اعتمد الترتيب والتنظيم فقال : " ٠٠٠ وقد قرنت الباب
بشكله والخبر بمثله ، والكلمة باختصار ، ليسهل على المتعلم علمها وعلى المدرس
حفظها . " ^(٢)

ولذلك يعتبر الكتاب خطوة موفقة في التأليف العلمي المنظم في ذلك العصر

(١) ابن قتيبة . عيون الاخبار ج ١ . المقدمة . ص ٢٠
(٢) انظر . ابن قتيبة . عيون الاخبار . ج ١ . المقدمة . ص ٢٠

حيث هذبه مؤلفه من الاضطراب ، وتداخل المعلومات ، أو عدم تجانسها ،
فتميز من حيث منهج التأليف عن الكتب التي تناولت الوانا من المعرفة ففى
ذلك العصر " كالبیان والثبین " للجاحظ ، و " الكامل " للمبرد .
وقد حشد ابن قتيبة فى هذا الكتاب كثيرا من الأشعار المشاكلة لتلك
الأخبار التى انتظمها الكتاب فى جميع اجزائه .

ولما كان غرض ابن قتيبة أن يجمع فى كتاب عيون الأخبار من كل فن من
فنون المعرفة فقد دعاه ذلك الى أن يأتى بتنفة موجزة عن الشعر ، وذلك فى كتاب
العلم والبيان من هذا الكتاب ، تحدث فيها عن أهمية الشعر بين فنون الكلام
حيث قال فى وصف الشعر : " الشعر معدن علم العرب ، وسفر حكمتهم
وديوان أخبارها ، ومستودع أيامها ، والسور المضروب على مآثرها ، والخندق المحجوز
على مفاخرها ، والشاهد المدل يوم النصار ، والحجة القاطعة عند الخصام ،
ومن لم يقم عندهم على شرفه ، وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميدة
بيت منه ، شذت مساعيه وان كانت مشهورة ، ودرست على مرور الأيام وان كانت جساما ،
ومن قيدها بقوا فى الشعر ، وأوثقها بأوزانها ، وأشهرها بالبيت النادر ، والمثل السائر
والمعنى اللطيف ، أخلدها على الدهر ، وأخلصها من الجحده ، ورفع عنها كسده
المدو ونش عين الحسود " (١)

(١) ابن قتيبة " عيون الأخبار " ج ٢ ص ١٨٥ .

ثم تحدث عن أهمية الضمعة في الشعر ، وعن بعض الوجوه التي يختار الشعراء عليها ويحفظ ، كالإصابة في التشبيه وحسن الابتداء ، وهي أمور قد أشبعها بحثا في كتاب الشعر والشعراء ، وأما عرض لها في عيون الأخبار ، لأنه قد التزم بأن يجمع في كتابه هذا من كل فن من فنون القول . وقد قال متحدثا عن السبب الذي دفعه أن يورد تلك النبذة الموجزة عن الشعر : " وذكرت هذه التنفـسة في هذا الكتاب كراهية أن أخليه من فن من الفنون " .^(١)

ولقد كان منج الثقافة العربية في هذا الكتاب بالثقافات الأجنبية المختلفة واضحا وجليا . فابن قتيبة عندما يتناول موضوعا ما ، يورد ما قيل عن ذلك الموضوع من أخبار في أمة من الأمم ، ثم يذكر ما لدى الأمم الأخرى في نفس الموضوع فهو مثلا إذا تحدث عن السؤدد عند العرب أتبعه ذكر السؤدد عند الممجم . فقد أورد قول الأخنف بن قيس في السوء دد ، وأقوال غيره من سادات العرب ، ثم أعقبه^(٢) بالحديث عن السؤدد نغلا عن كتاب للهند . وهكذا ما يساعد القارئ بأن يوازن أو يفاضل في يسر وسهولة بين تلك الأخبار والأقوال .

(١) ابن قتيبة . عيون الأخبار . ج ٢ . ص ١٨٥ .

(٢) انظر المصدر السابق . ج ١ ص ٢٣٩ - ٢٣١ .

(٣) انظر المصدر السابق . ج ١ . ص ٢٣١ .

ولهذا نرى ابن قتيبة في كتابه هذا ينقل عن العرب والمجم والهند ، كما
اكثر النقل عن التوراة والانجيل ، وذلك استطاع ان يجمل من كتابه هذا صورة صادقة
لامتزاج الثقافة العربية بالثقافات الاجنبية التي عرفها العصر العباسي .

٤- كتاب المعاني الكبير :-

ذكره اكثر من ترجموا لابن قتيبة . وقد تم طبعه بمطبعة مجلس دائرة المعارف
المثمانية بحيدر اباد بالهند سنة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م . بتصحيح عبد الرحمن
بن يحيى اليماني . وقد ظهر الكتاب في ثلاثة مجلدات اشتملت على سبعة اجزاء . وقد
اشار مصححه الى ان الكتاب ينقصه بعض الاجزاء التي لم يعثر عليها بمد . فالمعروف
عن ابن قتيبة انه قد صدر كته التي وصلتنا جميعها بمقدمات يرسم فيها منهجه وفرضه
من التأليف . اما كتاب المعاني فقد خرج مبتورا بدون مقدمة . حيث بدأه مباشرة
بقوله : " قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . انشدني الرياشي
(١)
عن الأصمعي عن ابن عمرو بن الملاء لابي دؤاد الايادي هذه الابيات . " ثم
اورد بيتين في وصف سرعة الخيل بدون عنوان لها . ثم ان الجزء الرابع من
الكتاب ناقص من اوله وقد اشار مصححه الى ان الورقة الاولى من نسخة الاصل
قد نزلت . كما ختم الكتاب بابيات في مقام الاخلاق وكانت تلك النهاية تدل ايضا

(١) ابن قتيبة . كتاب المعاني الكبير " طبعة حيدر اباد ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م) ص ١

على وجود نقص في الكتاب حيث اختتمه بقوله " ثم ابدا فقال ... " (١) ولم يذكر
المقول .

ويعتبر كتاب المعاني الكبير من أضخم كتب ابن قتيبة وأجلها فائدة ، وقد
عالج ابن قتيبة في هذا الكتاب ناحية واحدة هي شرح غريب الشمر وما خفى من معانيه
وهو في ثنايا هذا الشرح يسوق شواهد شمرية كثيرة وذلك اشتمل الكتاب على كثير
من اشعار المعاني التي جهد المؤلف في تفسيرها فجمع بذلك مادة غزيرة من الادب -
واللغة والشمر . وقد انتظمت تلك المادة في اجزاء مرتبة وسبحة ضمت الاجزاء التالية :-

١- كتاب الخيل

٢- كتاب السباع .

٣- كتاب الطعام والضيافة .

٤- كتاب الذباب .

٥- كتاب الوعيد والبيان .

٦- كتاب الحرب .

٧- كتاب الميسر وغيره .

وقد امتازت هذه الاجزاء بالترتيب والتنظيم والتسلسل في ايراد الموضوع ومعالجة
مسائله البارزة . كما اورد المؤلف كثيرا من الاشعار التي قيلت في هذه الابواب

(١) ابن قتيبة . كتاب المعاني الكبير " طبعة حيدرآباد ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩ م " ص ١٢٧ .

وتناولها بالشرح المستفيض الذي دل على قدرته ومكانته في علم اللغة ومعرفة بشعر
الحرب وأسرار كلامهم *

٥- كتاب الشعر والشعراء ١-

ويبدو أن ابن قتيبة قسمه قسمين : القسم الأول • ويمثل مقدمة الكتاب التي
حشد فيها نظراته النقدية حيث تناول فيها الحديث عن أقسام الشعر وطبقاته
وعيوبه • وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى جانب تناوله بعض القضايا
النقدية الهامة •

وقد أشار ابن قتيبة إلى أن تلك المقدمة النقدية تمثل الجزء الأول من هذا الكتاب
حيث تحدث في هذا الكتاب كما يقول : " عن أقسام الشعر وطبقاته • وعن الوجوه التي
يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك كما قدمته في هذا الجزء الأول " (١) وذلك
يبدو أن ابن قتيبة قد قصد باللفظ الأول من عنوان الكتاب وهو " الشعر " هذا
القسم الأول • أما القسم الثاني • وهو تراجم الشعراء فكانه قصد به اللفظ الثاني
من العنوان وهو (الشعراء) وقد أخبرني هذا القسم عن الشعراء " وأزمانهم
واقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم • ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية

(١) ابن قتيبة • الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٥٩ •

منهم • وما يستحسن من اخبار الرجل ويستجد من شعره • وما اخذته العلماء
عليهم من الفلط والخطا في الفاظهم أو معانيهم • وما سبق اليه المتقدمون فأخذه
(١)
عنهم المتأخرون • وقد ضم الكتاب بين دفتيه مادة نقدية قيمة • وأخرى ادبية
واسعة • حيث ترجم لعدد كبير من الشعراء • وأورد الكثير من اشعارهم •
وليس من اليسير الاطمئنان الى أن كتاب الشعر والشعراء قد وصلنا كاملا
كما كتبه ابن قتيبة • وهذا ما لاحظته الأستاذ السيد احمد صقر عندما تناول
(٢)
نقد الكتاب في اظهار بعض الملاحظات حصول تحقيق الأستاذ احمد محمد شاكر
(٣)
ولعل أهم ما يلاحظ على الكتاب أنه قد وردت ترجمتان متاليتان لأكثر من
شاعر تختلف كل واحدة منهما عن الأخرى في الأسلوب وفي طريقة العرض مما يشير
شكوكا في أن الكتاب قد دخله بعض الخلط من ايدي النساخ • وربما
أدى ذلك الخلط الى نقص غير قليل في الكتاب •

-
- (١) ابن قتيبة • الشعر والشعراء • ج ١ • ص ٥٩ •
(٢) انظر المصدر السابق • نقد الأستاذ السيد احمد صقر ص ٧ - ٩ •
(٣) انظر في ذلك ترجمة كل من • امرئ القيس - ج ١ • ص ١٠٥ و ص ١١٤ •
وزهير بن ابي سلمى ج ١ • ص ١٣٧ • و ص ١٤١ • والنايعة الذبيانية
ج ١ • ص ١٥٧ • و ص ١٦٣ • والمتلمس • ج ١ • ص ١٧٩ • و ص ١٨١
وظرفة بن العبد ج ١ • ص ١٨٥ • و ص ١٨٨ • وأوس بن حجر • ج ١ • ص
٢٠٢ • و ص ٢٠٥ • والمرقس الأكبر ج ١ • ص ٢١٠ • و ص ٢١٢ •
والمرقس الأصغر ج ١ • ص ٢١٤ • و ص ٢١٦ • وعلقة الفحل • ج ١ • ص
٢١٨ • و ص ٢١٩ - ٢٢٠ • وهدي ابن زيد ج ١ • ص ٢٢٥ - و ص ٢٢٨ •

وهناك ناحية أخرى جديدة بأن يلتفت إليها ، وهي أن المعروف عن ابن قتيبة أنه حسن الترتيب والتنظيم في كل كتبه التي وصلتنا . غير أنه في ترجمته للشعراء في هذا الكتاب لم يلتزم منهاجا معيناً . فهو لم يلتزم التاريخ الزمني في الحديث عن الشعراء ، ولم يلتزم تقسيم الشعراء إلى طبقات أو مدارس أدبية ، فهو يتحدث عن شعراء جاهليين ثم عن شعراء مخضرمين أو إسلاميين ، ويعود ثانية ليترجم آخرين جاهليين . فقد بدأ الحديث بامرئ القيس حتى إذا ترجم لسلامة بن جندل اتبعه الحديث عن ليبد بن ربيعة ، وزيد الخيل ، والنايفة الجعدي ، ثم عاد فترجم لمهلهل بن ربيعة وهو جاهلي ، ثم عقب على ذلك بالحديث عن العباس بن مرداس . وقد كانت له بعض المحاولات في أن يترجم لأصحاب الفن الشعري الواحد على نسق واحد ، إلا أن تلك المحاولات لم تكتمل . إذ يتحدث عن شاعرين أو ثلاثة أو أكثر ممن أصحاب الفن الشعري الواحد ، ويتبع ذلك الحديث عن شعراء آخرين يختلفون معهم في الفن ، ثم يعود فيذكر بعض شعراء ذلك الفن السابق الذي أورد بعض شعرائه وهكذا . ومن ذلك أنه تحدث عن ستة من شعراء الرجز وهم : العجاج ، وابنه رؤبة ، وأبي نخيلة وأبي النجم الراجز ، ودكين الراجز ، والأغلب الراجز ثم اتبع ذلك الحديث عن شعراء كثيرين لا يتفقون معهم في هذا الفن ، وبعد أن سرد

سير أكثر من ثلاثين شاعرا عاد الى فن الرجز ليتحدث عن عمر بن لجأ
الراجز ،

وواضح أن ابن قتيبة بهذا التقديم والتأخير لم يلتزم منهجا
واضحاً في ترجمته للشعراء وهذا ما لا يتلاءم مع ما عُرف عنه من دقة -
الترتيب والتنظيم في كل مؤلفاته .

ولذلك فقد يكون ذلك التقديم والتأخير من عمل النساخ
الذين شوهوا ترتيب الكتاب فأوردوا مثلاً ترجمتين متتابعتين لبعض
الشعراء الذين ورد ذكرهم في كتاب الشعر والشعراء .

ويبدو من استعراضنا للنقد في مؤلفات ابن قتيبة الأدبية ، أن كتاب
" الشعر والشعراء " هو الكتاب الذي يمثل الجانب النقدي عنده .

فقد حشد في مقدمة هذا الكتاب نظراته النقدية التي تناول فيها
الحديث عن أقسام الشعر ، وطبقاته ، وعبوته ، وعن الوجوه التي يختار
الشعر عليها ويستحسن لها ، ثم عالج بعض القضايا النقدية الهامة ، كفضيلة
المتكلم والمطبوع ، وفضيلة القديم والحديث ، وأضاف إليها بعض النظرات
النقدية التي انفرد بها ، كما اهتم بالشاعر وأولاه عناية كبيرة .

ومن هنا فإن دراسة ما تضمنه هذا الكتاب من نظرات نقدية تعتبر دراسة
شاملة لموقفه النقدي كله ، لأن ما ورد من هذه النظرات في غيره من مؤلفات ابن
قتيبة هو على قلته قد ضمنه في الشعر والشعراء لأنه ورد في هذه المؤلفات غير
مقصود لذاته . ولهذا فسوف نقصر الفصول التالية على كتاب الشعر والشعراء

(الباب الثاني)

نقد الشعر عند ابن قتيبة

(الفصل الأول)

=====

لغة الشعر

كان العرب يتكلمون لفثهم بالطبع دون تعلم أو دراسة . وكانت لغة البعيدين منهم عن بلاد الاعاجم أفصح مما عداها ، كما هو الحال بالنسبة للغة قريش ومن جاورهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وغيرهم ، فلما جاء الاسلام واختلط العرب بالاعاجم بدأت تفسد تلك الملكة ، فدعت بالحاجة الى وضع قواعد للغة العربية لحفظها من اللحن ، فوضع علم النحو ، وجمعت الفاظ اللغة العربية صيانة لها من الضياع ، ومز بين اساليب العرب الفصحاء ، والمولدين والدخلاء .

على أن اللغة العربية التي أشرت عن العصر الجاهلي لم تعد سهلة اللفاظ بالنسبة للعرب بعد الاسلام . فقد ألانت الحضارة والاختلاط بالأجانب اللغة العربية ، وجنحت بها الى السهولة واليسر ، حتى أصبحت لغة الهداوة بميلها المصهور الى الخشونة غريبة اللفاظ لا تفهم الا بالدراسة وطول النظر .

ولما كانت اللغة هي مادة الأدب الأولى فقد كانت موضع اهتمام كبير من النقاد العرب ، إذ أخذوا يقومون العمل الادبي على أساسها

فمرفوا طرق الشعراء ، ومذاهبيهم في التعبير ، ورأوا أن منهم
من كان يحترز من بعض الضرورات والعيوب التي تقلل من قيمة
الشعر الفنية ، كرهير بن أبي سلمى الندي " كان لا يعاظم
بين القول ، ولا يشبع حوشى الكلام ، ولا يمدح الرجل إلا بما
هو فيه . (١) "

فكلام الناس لم يكن في طبقة واحدة ، وإنما كان فيه الجزل
الرزين ، ومنه الحسن المستنذب ، ومنه الحوشى الفث . وكان النقاد
أرادوا من الشعر أن يحرس على لغة أسمى وأفصح من لغة
النثر ، لا ابتذال فيها ولا غرابة ، ولذلك استهجنوا الأسلوب الحوشى
" إلا أن يكون المتكلم بدويًا أعرابيًا فان الحوشى من الكلام يفهمه
الحوشى من الناس كما يفهم السوقى رطانة السوقى . (٢) " فجعلوا
للشعراء الفاظًا معروفة تتناسب مع ظروفهم التي تحيط بهم وموضوعاتهم
التي يتناولونها بالتعبير . وأمثلة ما لوفة يجرون في مدارجها
ولا يخرجون عنها إلا نادرا .

وقد ألمح ابن قتيبة إلى أهمية تلك اللغة ، فكانت لغة طيبة منه .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ . ص ١٣٨
(٢) الجاحظ . البيان والتبيين . ج ١ . ص ١٢٠ - ١٢١

وفكرة جديدة فى ميدان النقد ، حيث اهتم بتلك القضية وأوصى
الشاعر المحدث الا يقلد لغة المتقدمين الذين مالوا الى استعمال
التركيب الحوشية النادرة التى تمثلها وحشة الهداوة وظلّة الأعيراب
ولا يستعمل ايضا اللغة القليلة التى لم تنتشر بين العرب :

ويبدو من ذلك أنه كان شديد الحرص على فصاحة لغة الشعر حيث يقول :
" وليس للمحدث أن يتبع المتقدم فى استعمال وحش الكلام السدى
لم يفسر ، كتفسير من أبنية سيويه ، واستعمال اللغة القليلة فى
العرب ، كأبدالهم الجيم من الياء كقول القائل :

(١)

" يا رب ان كنت قبلت حجتي " يريد حجتي .

وقد ضرب ابن قتيبة أمثلة كثيرة على ذلك ، وعلى الشاعر أن يتجنب
ذلك الوحش الفث ، والاستعمال القليل ، حتى وان طرقة بمصر
 كبار الشعراء القدماء ، لأن لكل جيل لغته ومصطلحاته ، واشتقاقات
اللغوية ، فهناك كثير من اللفاظ والتراكيب يصيها الركسود قسود
تستعمل فى زمن دون آخر ، وعلى الشاعر أن يحتاط لذلك كله
، فلا يختار الا ما سهل من اللفاظ والتراكيب وكان بعيدا عن
التعقيد والاستكراه .

ومما يدل القدر من الاهتمام بقضية لغة الشعر عمل جليل من ابن

قتيبة يدل على أنه أراد من ذلك فصاحة لغة الشعر ، والرقى

بها وتخليصها من بعض ما يعوق مهمتها .

الفصل الثاني

عيوب الشعر

لم يكن الشعر في درجة واحدة من القوة والحسن ، فنه ما هو حلـو مستعذب ، ومنه ما هو عث مستكره ، ولهذا أولع النقاد العرب بجمال التعبير ، واصابة المعنى ، وميزوا جيد الكلام من رديئه ، وحاولوا أن يدفعوا الشعراء الى أن يرتقوا بلغة الشعر ويهذبوها ، وينقحوها ، فانتقصوا ما عث وزل منه ، وجذبوا ما حسن وفخم ، وجهدوا في ابراز عيوب الشعر المتصلة بالصياغة أو الاعراب وأدركوا حـاجة الشاعر الى الالمام بالاوزان الشعرية ، ليكون شعره سليم الوزن ، وعرفوا ان الشعراء قديما وحديثا لا يخلو شعرهم من بعض تلك العيوب المتصلة به ، فحاولوا جاهدين تخليصه منها .

وقد شارك ابن قتيبة النقاد في تخليص الشعر مما قد يملق به من تلك العيوب التي تقلل من قيمته الفنية ، فحاول أن يبرز العيوب المتصلة بالصياغة من حيث سلامة الوزن ، واعتدال القوافي وصحتها ، غير ان النقاد قبله اشبعوها بحثا ، لانها كانت تمثل جزءا من الدراسات المروضية التي تناولها النقد في القرنين الاول والثاني .

وابن قتيبة في محاولته تلك لم يأت بشئ جديد فيما يتصل بعيوب القافية ، وانما عمد الى نقل آراء العلماء في الاقواء ، والسناد ، والايحاء ، والاجازة .

(١)
فالاقواء : هو اختلاف اعراب القوافي ، كان تكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة
أو منصوبة ، وكان النابغة الذبياني وشعر بن أبي خازم ممن وقع ذلك في شعرهم
(٢)
قال النابغة :

قالت بنوعامر خالو ابني أسد * يابؤس للجهل ضرارا لأقوام

وقال فيها :

تبد وكواكبه والشمس طالمة * لا النور نور ولا الاظلام اظلام

وقد كان " الاقواء " و " الاكفاء " موضع خلاف بين النقاد العرب ، فبعضهم يرى
أن " الاكفاء " هو اختلاف في اعراب القوافي وأن " الاقواء " نقصان حرف من فاصلة
البيت ، كقول جبل بن نضلة :

حنت نوار ولات هنا حنت * وهذا الذي كانت نوار أجنت

لما رأت ماء السلا مشروبا * والفرث يحصر في الاناء أرنت

(٣)
" سمي اقواء لانه نقص من عروضه قوة ، وكان يستوى البيت بأن يقول " متشربا " الا أن

أكثر النقاد يرون أن الاقواء هو الاكفاء بمعينه ، يقول ابن سلام " الاكفاء هو الاقواء

(٤)
مهموز وهو أن يختلف اعراب القوافي " وقد أغتفر للأعراب لأنهم لم يأنسوا به
(٥)
ولم يغتفر للمحدثين لأنهم عرفوا عيبه "

(١) انظر ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ . ص ٩٥ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٩٥ .

(٣) المصدر السابق . ج ١ : ٩٦ .

(٤) المرزباني : الموشح : ص ٢١ .

(٥) انظر المصدر السابق : ص ٢١ .

والسناد :- عرفه ابن قتيبة فقال : " هو أن يختلف ارداف القوافي " . ولم يوضح الاختلاف ، أهو في الارداف نفسها أم في حركاتها ، إلا أننا نلص من تطبيقه انه يريد بالسناد : اختلاف حركة الردف كما يبدو من تشيله بأبيات عمرو بن كلثوم .

" ألا هيى بصحنك فاصبحينا / فقد أتى الردف مكسورا وهو حرف الحاء تصفقه الرياح اذا جرينا / فالراء مفتوحة وهى بمنزلة الحاء " . (٢)

فالردف يقع قبل حرف الروى مباشرة وليس بينهما شئ . وعلى هذا اعتبر
" الياء " حرف روى للبيتين ، وهذا خطأ منه . إذ أن حرف الروى هو حرف
" النون " وليس حرف " الياء " الذى هو الردف بعينه ، ومن هنا يتضح أنه أراد -
بالسناد : اختلاف حركة الردف لكنه لم يهتد الى معرفة الردف فى البيتين اللذين
أوردهما .

(٤) أما الايطاء :- فهو " إعادة القافيه مرتين " بدلالة معنوية واحدة ، وهو
عند ابن قتيبة أقل عيبا من الافواء والسناد والاجازة . وهو كقول أبى ذؤيب
فى بنييه (٥) :

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع
ثم قال فى صفة الشور والكلاب :

فصرعته تحت المجاج فجنبه * مشرب ولكل جنب مصرع

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٦ . عرف ابن رشيق " السناد " : بأن المشهور فيه الحذو وهو " اختلاف حركة ما قبل الردف " . انظر العمدة " مصر ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ج ١ ص ١٦٧ " وقال المرزبانى : السناد : اختلاف كل حركة قبل الروى : " الموشح : ص ١٤ " (٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ ص (٣) انظر الفيروز ابادى : القاموس المحيط : " طبعة الحلبي بمصر ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م ج ٣ : ص ١٤٨ .

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٧

(٥) ابن رشيق : العمدة : ج ١ : ص ١٧٠ .

وأخيرا أورد ابن قتيبة بعض آراء العلماء في الإجازة ، حيث رأى بعضهم
" أن تكون القوافي مقيدة فتختلف الـرداف ^(١) . وقصدوا باختلاف
حركتها كقول امرئ القيس :

" لا يدعى القوم أنى أفر . / فكسر الـردف ، وقال في بيت آخر :

وكندة حولي جميعا صبر . / فضم الـردف ، وقال في بيت آخر :

ألحقت شرا بشر . / ففتح الـردف ^(٢) .

الا أن الخليل بن أحمد يقول في الإجازة : " أن تكون قافية ميمًا

والأخرى نونا . . أوطأ ^(٣) والأخرى دالا ^(٤) . وذلك راجع إلى تقارب الحروف
في مخارجها كقول الشاعر :

تالله لولا شيخنا عبـاد * لكرونا عندهما أو كبادوا .

فرشط لما كره الفرشـاط * يفيشة كأنها ملطـاط .

هذا كل ما جاء به ابن قتيبة في عيوب القافية ، نقل بعض آراء النقاد الذين

سبقوه بأمانة علمية ، دون أن تكون له شخصية بارزة في معالجة تلك العيوب .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٧

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٩٧

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ٩٧

(٤) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٧ .

غير أن ابن قتيبة لم يقف عند هذا الحد بل حاول أن يبرز بعض الميوب المتصلة
بالاعراب ، والضرورات التي يلجأ إليها الشاعر كسكين متحرك ، أو تحريك ساكن
أو قصر مدود ، أو المكس وصرف ما لا ينصرف ، وترك الهمز مع المهموز . فقد
" يضطر الشاعر فيسكن ما كان ينبغي له أن يحركه " (١) " كقول امرئ القيس : (٢)

فاليوم أشرب غير مستحب * اثما من الله ولا واغسل

سكن آخر الفعل " أشرب " للتخفيف .

وقد عاب على الشاعر اللجوء إلى الضرورات في حالة استطاعته إقامة الوزن ، إذ لا
يعد ذلك ضرورة يلجأ إليها الشاعر كقول الهذلي : (٣)

بييت على معاري فاخرات * بهن ملوب كدم المبسط

فلم ير ابن قتيبة في البيت ضرورة يحتاج الشاعر إلى أن يترك صرف " معار " إذ لو
قال " معار " لكان الشعر موزوناً والاعراب صحيحاً ويقول ابن قتيبة إن سيويه
احتج بالبيت في كتابه على أن فيه ضرورة مع خلوه منها . كما عاب ابن قتيبة
على الشاعر مد المقصور ، ومنع المصروف ، وهمز غير المهموز ، واغفر له قصر
المدود ، وصرف غير المصروف مع الضرورة ، وترك الهمز مع المهموز وهو كثير . (٤)

(١) ابن قتيبة " الشعر والشعراء " ج ١ : ص ٩٨ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٩٨ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٩٩ .

(٤) انظر المصدر السابق ج ١ : ص ١٠١ .

على أن ابن قتيبة قد حرص على أن يتوفر للشعر عنصر هام من أهم عناصره وهو
عنصر الموسيقى ، حيث حذر الشاعر من أن يسلك الأساليب التي لا تصح
في الوزن ، ولا تخلو في الإسماع ، إذ الوزن أحد أركان الشعر ، لذا يجب
أن يستقيم ، وأن يخلو من الاضطراب ، ومن كثرة الزحافات التي تهجن الشعر
وتحط من قدره ، وأن يشتمل على جمال النغمة وحسن الإيقاع .

هذا ولم يقف حرص ابن قتيبة على الارتقاء بصياغة الشعر عند هذا الحد ،
بل تعداه إلى أن بين أمارات الشعر الفث ، المستكره المتعمل ، وذلك
في مجالته لقضية المتكلف والمطبوع من الشعر ، وأوصى الشاعر المحدث
أن يعتمد عن استعمال الألفاظ الوحشية واللغة النادرة في العرب (١) .

كما قدم في ثنايا كتابه الشعر والشعراء " عيوباً أخرى لا تتعلق بالعيوب
الشكلية في الشعر كعيوب القافية والأعراب مثلاً ، وإنما تتصل بثقافة الشاعر
ومدى إدراكه لما يحيط به من الأمور التي يتناولها في شعره ، وتحفظه من
تلك الأخطاء التي قل من لا يقع فيها من الشعراء ، غير أنه لم يهتد إليها
بنفسه وإنما سبق إليها من العلماء قبله ، حيث جمعوا ما أخذوه على الشعراء
من الفلط والخطأ ، وأشار هو إلى ذلك في مقدمة الكتاب حيث يقول : " هذا
كتاب الفقه في الشعراء أخبرت فيه عن الشعراء وما أخذته العلماء عليهم

(١) انظر في ذلك الفصل السابق .

(١)

من الغلط والخطأ في الفاظهم أو معانيهم

ومن ذلك ما أخذوه على الشعراء من استعمالهم اللفظ لغير ما وضع

له ، كقول المتلمس :

(٢)

وقد أتتاسي بهم عند احتضاره * بناج عليه الصيمرية مكسداً .

عابوا عليه استعماله لفظ الصيمرية سمة للفحل ، وهي إنما تكون للناقصة

كما عابوا على حميد بن ثور الهلالي قوله :

(٣)

لما تخايلت الحمل حسبثها * دوماً بأيلة ناعماً مكثوماً

حيث جمل الدوم الذي هو شجر القل يكم - غير أن ذلك لا يكون إلا للنخل

(٤)

قال الله تعالى في صفة الأرض " فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام "

وقد رأوا أن من الممسانى ما هو مستقيم حسن ، ومنها ما خرج عن الصحة

فأفسد على الشاعر ما أراد - ولذلك وقع بعض الشعراء في غلط المعانى كزهير بن

ابن سلمى في قوله يذكر الضفادع :

(٥)

يخرجن من شربات ماؤها طحل * على الجذوع يخفن الغم والفرقنا

-
- (١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٥٩
(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٨٣ وانظر : المسكوى . الصناعيين " مصر
١٣٧١هـ / ١٩٥٢م " ص ٨٥
(٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ ص ٣٩٣
(٤) سورة الرحمن . آية ١١ .
(٥) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ١٥١ وفي الموشح " يخفن الغم " :
ص ٤٤

فقد عابوا ذلك عليه ، وقالوا : ان خروج الضفادع من الماء انما لالتماسها الشطوط
لتبويض هناك ، وليس لخوفها من الغم والفرق كما ذكر .
(١)
وعابوا على طرفة ايضا قوله يمدح قوما :

أسد غيل فاذا ما شربوا * وهبوا كل أمون وطمس

ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هدايا الازر .

فقد قرن عطاءهم بحال سكرهم ، وانهم انما يسهبون اذا تغيرت عقولهم ، ولم يشترط
لهم ذلك في صحوهم ، وهذا اشبه بالذم منه بالمدح ، لان السكران لا يدرك من
تصرفه شيئا * وقد أراد من الشاعر أن يجعل لكل مقام مقالا ، فلا يمدح الملوك
بصفات من هم أقل منهم منزلة ، كما يمدح السوق بصفات الملك ، ولذلك عابوا
على الاخطل قوله يمدح عبد الملك بن مروان :

(٢)

وقد جعل الله الخلافة منهم * لأبيض لا عارى الخوان ولا جذب

فمدحه بحسن الضيافة والقرى وهذا مما لا يمدح به الملوك .

كما انتقصوا في الشعر الافراط ، والغلو في المبالغة ، والابتعاد عن الواقع ، وجذبوا
فيه موافقته لمقتضى الحال ، فمابوا على النمر بن تولب قوله في وصف سيف :

(١) المصدر السابق لابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ : ص ١٩٤ وانظر

الموشح : ص ٥٢ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٤٨٧ وانظر في ذلك الموشح : ص ١٢٨ والصناعين
: ص ٧٥ .

(١)
تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهادي .

فذكر أنه ضرب به ، فقطع المضروب ، وغاص في الارض ، حتى احتاج الى أن

يحفر عنه ، وقالوا : ان هذا من الافراط والكذب .

هذا ولم يتساهل العلماء في مخالفة الحقائق ، أو الواقع لغير دواع فنية

لان ذلك ينم عن تقصير الشاعر ، وضعف ثقافته ، وجهله بعض تلك الحقائق ،

أو وقوعه أحيانا في الفلط كما مر في القيس في قوله :

(٢)
إذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح الفصل .

اعترض العلماء عليه وقالوا : الثريا لا تعرض لها ، والتص له بعضهم عذرا فقالوا :

انما أراد الجوزاء ، فذكر الثريا على الفلط .

ومما تقدم يتضح لنا أن ابن قتيبة في معالجته لبعض الميوب الشكلية فسى

الشعر ، انما أراد ان يخلص الشعر المربى من بعض تلك الميوب التي تقلل

من قيمته الفنية ، ولا يسلك الشاعر " الاساليب التي لا تصح في الوزن ولا تحلو

في الاسماع " (٣) وأن يختار " احسن الروى ، وأسهل الالفاظ ، وأبعدها من -

التمقيسد والاستكراه ، وأقربها من افهام المعوام " (٤) وسهلا حرس على

اصلاح لغة الشعر والارتقاء بها عن وحشة البداوة ، وغلظة الاعراب .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٣١١ .

(٢) المصدر السابق ج ١ : ص ١١١ .

(٣) المصدر السابق ج ١ : ص ١٠٢ .

(٤) المصدر السابق ج ١ : ص ١٠٣ .

وقد بدا في معالجته للمعيوب الالهائية عالما متمكنا من اللغة ، واسع الاطلاع يدل على ذلك موقفه من احتجاج سيويه ببيت من الشعر في نسق الاسم المنصوب على المخفوض ، حيث يقول : " وقد رأيت سيويه يذكر بيتا ، يحتج به في نسق الاسم المنصوب على المخفوض ، على المعنى لا على اللفظ ، وهو قول الشاعر :

مماوى اننا بشر فأسجح * فلسنا بالجمال ولا الحديددا

قال : كأنه أراد : لسنا بالجمال ولا الحديددا ، فرد الحديد على المعنى قبل دخول " الباء " وقد غلط على الشاعر لان هذا الشعر كله مخفوض .^(١) وقد أورد ابن قتيبة بعد ذلك بيئتين ليثبت أن القافية مخفوضة وهما قول الشاعر :^(٢)

فهبها أمة ذهبت ضياعا * يزيد أميرها وأبو يزيد

أكلتم أرضنا وجردتموها * فهل من قائم أو من حصيد

أما فيما قدمه من مأخذ العلماء على الشعراء ، فانه لم يطمئن الى صحة كل ما قدمه فحاول أن يرد بعض تلك المأخذ ، ويثبت صحة ما قالته الشعراء من ذلك ما نسبوه الى الكذب من قول عدى بن زيد العبادى :

رب ناريت أرقمها * تقضم الهندى والفارا^(٣)

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٨ - ٩٩

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٩٩

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ٢٣٢

يريد بالهندي : المود *

فقد رأى ابن قتيبة أن في حكمهم هذا جورا ، وأنهم لم يهتدوا الى مراد الشاعر ، ورد عليهم بقوله : " وليس هذا عندي كذبا ، لانه لم يرد أنه يوقدها بالعود ، وإنما

(١)
أراد أنها توقد بالفار ، وهو شجر ، وتلقى قطع المود على ذلك للطيب .

ومن ذلك أيضا مما عابه العلماء على المسيب بن عيسى ، في قوله يصف الناقة :

(٢)
وكان غارسها رباوة مخرم * وتمد ثني جدي لها بشراع .

فقالوا : انه خلط بين الدقل والشراع ، والدقل هو الخشبة التي يمد عليها

الشراع في وسط السفينة ، ولم يرا ابن قتيبة في ذلك غلطا ، فقال : " وليس

هذا عندي غلطا ، والشراع يكون على الدقل ، فسمى باسمه ، والصرب تسمى

(٣)
الشيء باسم غيره ، اذا كان معه وسببه . "

(١) ابن قتيبة : الشمر والشمر : جزء ١ : ص ٢٣٤

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٧٧ .

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٧٨

الفصل الثالث

(قضية اللفظ والمعنى)

=====

شارك ابن قتيبة غيره من النقاد القدامى الذين تحدثوا عن اللفظ والمعنى باعتبارهما من قضايا النقد المرسى . وهذه محاولة للوقوف على تصور النقاد للفظ والمعنى باعتبارهما قيمتين أساسيتين في الشعر ، وتطور هذا التصور وتنوع البحوث التي تناولت القضية .

فالنقاد القدماء لم يقصدوا باللفظ دائما اللفظ المفرد ، وإنما قصدوا تركيب اللفظ في جملة مفيدة تشاكل تلك المبارات التي يتكون منها العمل الأدبي ليصبح وحدة متكاملة ، يتسم بالتنسيق والترابط بين أجزائه ، كما أنهم لم يقصدوا بالمعنى دائما دلالة اللفظ المفرد ، بل نظروا إلى المعنى على أنه ما دل عليه مجموع التركيب اللفظي ، إلا أنهم في معالجتهم لهذه القضية انقسموا إلى ثلاث طوائف : فمنهم من آثر اللفظ على المعنى ورآه أعظم قيمة منه ، وآخرون قدموا المعنى على اللفظ وأرجعوا ميزة الشعر إليه وحده ، وفريق ثالث حاول أن يقف موقفا وسطا وأن يصوى بين اللفظ والمعنى في الأهمية . ولقد احتفل فريق منهم بالمعنى متى كانت صحيحة حسنة رائقة ، وكان ذلك مطلبهم ، وهذا لا يعني أطراحهم اللفظ جانبا ، وإنما اهتمامهم بالمعنى يعني تقديمه على اللفظ ، ودون اغفال للفظ ، إذ جعلوا له منزلة تلي منزلة المعنى ، وقد كان أبو عمرو بن الملاء الذي استحسن

(١)
قول الشاعر :

لا تحسبن الموت موت البلى * فانما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا * أفضح من ذاك لذل السؤال .

من رواد أنصار المعنى ، فقد اهتم بالفكرة ، ولم يراع رونق العبارة وجمال الصياغة
وقد ذهب هذا المذهب بعد ذلك ابن الأثير الذى جعل من التائق فى
تهذيب الالفاظ والعناية بها خدمة للمعاني حين يقول : " اعلم أن العرب
كما كانت تمتنى بالالفاظ فتصلحها وتهذبها فان المعانى أقوى عندها ،
وأكرم عليها ، وأشرف قدرا فى نفوسها . . . فاذا رأيت العرب قد اصلحوا
الفاظهم وحسنوها وزققوا حواشيها ، وصقلوا أطرافها ، فلا تظن أن العناية
اذ ذاك إنما هى بالالفاظ فقط ، بل هى ، خدمة منهم للمعاني " (٢)
الشعراء بنصيب وافر فى هذا الاتجاه ، فاهتموا بالمعاني ، ودون مراعاة
للالفاظ كابى الطيب المتنبى ، وابن الرومى ، ومن شاكلهما من أصحاب عمود
الشعر .

(١) الجاحظ . الحيوان " مصر ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م) ج ٣ ص ١٣١ .
بلغ من استحسان أبى عمرو الشيبانى للبيتين حين سمعهما " أن كلـف
رجلا حتى احضره دواة وقرطاسا حتى كتبهما له " . وقد علق الجاحظ على
ذلك بقوله : " وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا أبدا " .
انظر الجاحظ . الحيوان ج ٣ : ص ١٣١ .
(٢) ابن الأثير : المثل السائر " القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م : ص ١٤٠ .

(١)

ويقف اللفظيون أو أنصار اللفظ في الجانب الثاني لينتصروا للصياغة . فقد
جملوا للفظ المكانة الأولى في النص الأدبي ، وقد ظن كثير من النقاد قديما
وحديثا أن أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ كان يتصدر هذه المدرسة التي انضم
إليها جمع كثيرون من نقاد العرب ، فقد فهموا أن الجاحظ لم ير للمعنى دورا -
كبيرا في العمل الأدبي ، وإنما رأى المصطلح في ذلك على الألفاظ ، حيث
يقول : " والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجم ، والصرب ، والبدوي
والقروي ، والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج
وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك " (٢)
مجموعة الأسلوب لا اللفظ المفرد ، وقد علق على ذلك بقوله : " فأنما الشمر
صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير " (٣)
السابق لم يحط من قيمة المعنى . فالمعاني أدوات أولية تحصل في الذهن

(١) حاول الدكتور أحمد أحمد بدوي في كتابه " أسس النقد الأدبي عند العرب " حاول أن ينكر تقسيم النقاد في هذه القضية إلى لفظيين ومعنويين إذ يقول " ان وهما كبير أم لك على الباحثين قلوبهم . . . هذا الوهم الكبير هو تقسيمهم نقاد العرب قسمين : لفظيين أو أنصار اللفظ . . ويضمون الجاحظ على رأس هذا الفريق ، ومعنويين أو أنصار المعنى . . ويضمون على رأس هذا الفريق عبد القاهر الجرجاني " وقد انتهى به إنكاره هذا إلى التقسيم بين اللفظ والمعنى . انظر في ذلك كتابه السابق القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ص ٣٦٠ - ٣٦٧ .

(٢) الجاحظ : الحيوان : ج ٣ : ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٣) المصدر السابق : ج ٣ : ص ١٣٢ .

عن طريق الأشياء التي نشاهدها ، وبعد أن تتبلور في الذهن حسب تصوراتنا لها ، يعبر عنها بالفاظ تجسد ذلك التصور بحيث يصبح للمعاني وجود آخر عن طريق دلالة الالفاظ ، وهكذا يتضح لنا أن الصورة الأولى للمعاني باستطاعة كل انسان أن يتناولها ، ولكن المعمول على الصورة الثانية التي تتكون باقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وجودة السبك ، لأن الشعر صناعة وضرب من التصوير ، كما يقول الجاحظ ، فالجاحظ ، لم يقصد باللفظ ، اللفظ المفرد وإنما قصد به ، ذلك الأسلوب الفني للعمل الأدبي الذي يجسد الصورة الأدبية . وهذا لا يعنى أن الجاحظ قد انحاز إلى اللفظ وأطرح المعنى ، فهو يرى أن هناك معاني لا يمكن أن تسرق ، من ذلك وصف عنتر للذباب " فانه وصفه فأجاد صفته فتحاى معناه جميع الشعراء فلم يعرض له أحد منهم ، ولقد عرض له بعض المحدثين ، من كان يحسن القول ، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ومن اضطرابه فيه ، أنه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر ، قال عنتر :

جاءت عليها كل عين ثرة * فترك كل حديقة كالدرهم

فترى الذباب بها يفنى وحده * هزجاً كفعل الشارب المترنم (١)

غزدا يحك ذراعه بذراعه * فعل المكب على الزناد الاجدم

(١) الجاحظ : الحيوان ج ٣ : ص ٣١١ - ٣١٢ .

وهذا دليل على أن الجاحظ رأى أن السرفى المعنى قبل اللفظ ، وهو
 لو لم يهتم بالمعاني لما قال : " ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني
 ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ، حتى يقسم أقـدـار
 الكلام على أقدار المعاني " (١) ولهذا فإن المعاني المطروحة عند الجاحظ
 هي تلك المعاني الأولية ، قبل أن يتناولها الأديب بالتعبير ، فيبرزها
 في المعروض الذي يريد . وعلى هذا الأساس لا يحكم على الشعر الأعلى
 ضوء ما يحدث فيه من تلك الصور ، لأن المعاني هي مادة الشعر ، ولا يكون
 الشعر إلا بتصور هذه المعاني ، فلا يحكم على الشعر بمادته ، وإنما يحكم عليه
 بصورته ، وقد التقى قدامة بن جعفر مع الجاحظ في هذه الفكرة (٢)

وقد فهم بعض أنصار هذه المدرسة بعد الجاحظ أن الفضيلة ترجع
 إلى اللفظ وحده ، ومن هؤلاء أبو هلال العسكري الذي يرى أن المعاني مشتركة
 بين العقلاء ، وربما وقع المعنى الجيد للسوق ، والنبطى ، والزنجى ، وإنما
 يتفاضل الناس في الالفاظ ورصفها ، وتأليفها ، ونظمها (٣) فقد أخذ يردد
 أقوال الجاحظ في اللفظ دون فهم منه لما أراده الجاحظ حيث يقول : " وليس

(١) الجاحظ : البيان والتبيين : ج ١ ص ١٦٦
 (٢) انظر : قدامة : نقد الشعر " مصر ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٨ م " ص ١٣ وما بعدها
 (٣) العسكري : الصناعات ص ١٩٦

الشان فى ايراد المعانى ، لان المعانى يعرفها المرى ، والمجى ، والقوى
والبدوى ، وانما هو فى جودة اللفظ ، وصفائه ، وحسنه ، وسهائه ، ونزاهته
ونقائه ، وكثرة طلاوته ، ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود النظم
والتأليف وليس يطلب من المعنى ، الا أن يكون صوابا ، ولا يقنع من اللفظ بذلك
حتى يكون على ما وصفناه من نموته التى تقدمت .^(١) فهو فى معالجته لتلك القضية
لم يقتبه للرباط الذى يربط بين اللفظ والمعنى ، وشبهه فى هذا الموقف ابن
رشيق القيروانى ، حيث جمع آراء السابقين وموافقهم بالنسبة لتلك القضية ، ثم
قال بعد ذلك : " وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى ، سمعت بعض
الحذاق يقول : قال العلماء : اللفظ أغلى ثمننا وأعظم قيمة ، وأعز مطلبنا ، فان
المعنى ، موجودة فى طباع الناس ، يستوى الجاهل فيها ، والحذاق ، ولكن
العمل على جودة الالفاظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف .^(٢) فابن رشيق
والمسكرى يريان . أن الشأن فى تهذيب الالفاظ مع صحة السبك ، وجودة
التركيب . وقد تطرف ابن خلدون فى هذه القضية ، فجعل المعول الاول على
الالفاظ ، وأن المعانى تبع لها وهى فى متناول كل انسان ، " وفى طوع كل فكر
منها ما يشاء ، ويرضى ، فلا يحتاج الى صناعة ، وتأليف الكلام للمباراة عنها هـ
المحتاج للصناعة .^(٣) ولذلك يرى أن صناعة الكلام " انما هى فى الالفاظ لا فى

(١) المسكرى : الصناعين : ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) ابن رشيق : الممدد ج ١ : ص ١٢٧ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة . (طبعه مصره بدون تاريخ) ص ٥٧٧ .

(١)

المعاني ، وانما المعاني تبع لها ، وهى أصل .

وعلى هذا نرى أن كل من انضم الى هذه المدرسة اللفظية لم يغفلوا

المعنى حتى المتطرفين منهم ولكنهم جعلوه ، أقل مرتبة من اللفظ عند من أتى

بعد الجاحظ .

وقد بلغ الاهتمام باللفظ ذروته عند البلاغيين الذين عنوا بالحلية اللفظية

فاقتنوا فيها ، اذ رأوا فى ذلك تجديد أو إبداعا .

على أن من نقاد العرب من وقف من تلك القضية موقفا وسطا ، فنظروا الى

اللفظ والمعنى معا ، ورأوا أن البلاغة تكون فى المعانى ، كما تكون فى الالفاظ

فقد يكون الجمال فى النص الادبى من قبل المعنى منفردا ، أو من قبل اللفظ

وحده ، وأحيانا من قبلهما مجتمعين .

وكان بشر بن المعتز المتوفى سنة ٢١٠ أول من حاول أن يجمع بين اللفظ

والمعنى ، فأخذ ينصح بترك التوعر ، والتكلف ، حيث قال : " وإياك والتوعر

فإن التوعر يسلمك الى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين

الفاظك ، ومن أراغ معنى كريما فليلتص له لفظا كريما ، فإن حق المعنى

الشريف ، اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ، ويهجنهما

وعما تمود من أجله الى أن تكون أسوأ حالا منك . قبل أن تلتص اظهرهما

وترتبن نفسك بملاستهما ، وقضاء حقهما .^(١) وأولى المنازل في رأيه " أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهرا مكشوقا ، وقريبا معروفا - اما عند الخاصة ان كت للخاصة قصدت ، واما عند العامة ان كت للعامة اردت - والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معانى الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة . وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة ، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العامي والخاصي^(٢) . فهو وان حاول أن يسوى بين اللفظ والمعنى في الاهمية ، الا أنه تطلب في المعنى فكرة صحيحة ثم أخذ يتحدث عن أهمية الالفاظ واختيارها وصواب المعانى ، واحراز المنفعة مع موافقة الحال . وهو بهذا أقرب الى روح البلاغة منه الى النقد واختلاف النقاد حول هذه القضية يرجع الى انهم لم يكتشفوا الصورة التي تقوم بعملية الربط بين اللفظ والمعنى ، فنظر أنصار المعنى الى اللفظ منفصلا عن الصورة فلم يجدوا له الا قيمة ثانوية فقالوا بأهمية المعنى . ونظر أنصار اللفظ الى المعنى منفصلا عن الصورة ايضا ، فلم يروا له كبير خطر ، فقالوا بأهمية اللفظ ، ولو أنهم اكتشفوا الصورة لأدركوا جميعا أنها مناط الجمال والقيمة ففى الادب ، فالمبرة اذن بالصورة التي لم يصرح بها أحد من الفريقين ، ولهذا اختلفوا في مقياس الجمال الادبي ، أهو اللفظ ، أم هو المعنى ، أم هما جميعا ؟

(١) الحاجظ : البيان والتبيين . ج ١ : ص ١٦٣ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٦٣ - ١٦٤ .

وهذا ما تبين لنا حين وقفنا على آراء النقاد واتجاهاتهم المختلفة في تلخيص

القضية ، وتصورهم لها ، ومدى تطور ذلك التصور على مدى الزمن .

وقد عرض لهذه القضية ابن قتيبة ، حين قسم الشعر الى اربعة اقسام ، وقرر

أن ركني الشعر هما اللفظ والمعنى ، وهما لهما مقترنين في النص الادبي

لا يحكم عليه بواحد منهما دون الآخر ، لان العمل الادبي لا يكون كاملاً

مستوياً الا باستيفاء شروط الجودة فيهما معا ، فحاول بذلك ان يضع قواعد لنقد

الشعر ، قسمه الى اربعة اضراب ، قال ابو محمد : تدبرت الشعر فوجدته اربعة

اضراب : ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل في بعض بني أمية :

في كفه خيزران ريحها عبق * من كف أروع في عرينه شم

يفضي حيا ويفضي من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم

وكقول أوس بن حجر :

أيتها النفس أجلى جزعا * ان الذي تحذرين قد وقعا .

وكقول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع^(١)

ثم يقول : " ومثل هذا في الشعر كثير ليس للاطالة به في هذا الموضع وجه ."^(٢)

فهذا الضرب عنده أحسن ضروب الشعر على الإطلاق فألفاظه حسنة مستعذبة

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ ص ٦٦ .

وقعت في مواقعها من المعاني ، ولذلك اعتبره مقياسا اعلى للجمال الشعرى
ولكنه ضيق على نفسه الطريق حتى كاد يستفلق عليه . عندما حاول أن يجمل
لكل بيت من الشعر معنى مستقلا ، وعندما تطلب معنى اخلاقيا حينما
أعجب بهيت أبى ذؤيب السابق ، لان المعاني الاخلاقية ليست كل شئ
في الشعر الذى يقوم على التصوير الفنى ، ثم ان هناك تعليقات يوردها
بعد الابيات التى اختارها لهذا الضرب من الشعر كأن يقول : " لم يقل
في الهيبة شئ أحسن منه . لم يتدى أحد مرثية بأحسن من هذا . ولم
يقل في الكبر شئ أحسن منه . لم يتدى أحد من المتقدمين بأحسن
منه ولا أغرب " (١) وهى كما ترى تعليقات بعيدة عن روح التعليل ، وبإكمال
الحديث عن أقسام الشعر الاربعه سيتبين لنا ما فى هذا التقسيم من الدقة
المنطقية التى لا تجدى شيئا . فقد أراد أن يكمل تقسيمه الذى التزمه ،
فوصف الضرب الثانى من الشعر على أنه ما " حسن لفظه وحلا ، فاذا أنت فتشته
لم تجد هناك فائدة فى المعنى ، كقول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ما مسح

وشدت على حذب المهاري * ولا ينظر الفنادى الذى هو رائح
رحالنا

أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح " (٢)

فحكم على قيمة الشعر من خلال الدلالة المعنوية ، واغفل الركن الثانى الذى

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٦٥ - ٦٦ .

(٢) الصدر السابق ج ١ : ص ٦٦ .

يمثله اللفظ ، وكأنه يرى أن الفرض الأساس يكمن في المعنى ، وأن الالفاظ لا بد أن تكون في خدمة المعاني ، وهو عندما اعتبر معناها عاديا ، كسان يبحث عن فكرة ، لأنه نظر الى ما تحتها من معنى فوجده " ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان وعالينا ابلنا الانضاء ، ومطشى الناس لا ينتظر الفادى الرابع ، ابتدأنا في الحديث ، وسارت المطى في الأبطح " ^{١١٥} وطريقته هذه في نشر الإبيات ثم الحكم على قيمتها الفنية ليست طريقة مأمونة ، لأنه أفقدها ذلك التناسق التعبيري ، والایقاع الناشئ من ذلك التناسق ، كما سلبها تلك الصور التي يبدو فيها التعبير . وقد تبعه في نشر الإبيات أبو هلال العسكري ثم قال بعد ذلك " وليس تحت هذه الالفاظ كبير معنى ، وهى رائقة ممجبة " ^(٢) وسار على طريقهما الباقلاني حين علق عليها بقوله : " وهذا من الشعر ~~المعجز~~ الحسن الذى يحلو لفظه وتقل فوائده " ^(٣) فهو لا الذين فتشوا عن الفائدة ولم يجدوها ، اعتبروا معناها عاديا لانهم فهموا المعنى بمعنى الفكرة ولو أنهم نظروا الى الصورة لاستجادوا معناها ، لاننا نجد كثيرا من رواة الادب يروونها على أنها جيدة المعنى ، وهؤلاء الذين استجادوا معناها ، هم الذين تنبهوا للصورة التي أضفت على الإبيات جمالا فنيا ، من جهة الالفاظ حتى أصبح المعنى مستوفى على قدر مراد الشاعر . فابن طباطبائي يرى في تلك الإبيات

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٦٧

(٢) العسكري : الصناعين : ص ٥٩

(٣) الباقلاني : اعجاز القرآن (القاهرة ١٩٦٢) ص ٢٢٢

المعجز العسكري =

صورة رائقة ومعنى مستوفى ، حيث يقول : " هذا الشعر هو استشعار
قائله لفرحة قفوله الى بلد ، وسروره بالحاجة التي وصفها من قضا ، حجه ، وأنسه
برفقائه ، ومحادثتهم ، ووصفه سيل الأباطح بأعناق المطى كما تسيل بالمياه ،
(١)
فهو معنى مستوفى على قدر مراد الشاعر . " وكما استحسنت ان طبا طبا
تلك الابيات ، فان عبد القاهر الجرجاني قد عارض ابن قتيبة ، ولم يوافق في الاستهانة
بها لانها تمثل لوحة فنية لقوم عائدین الى اوطانهم ، اكتسبت تصويرا فنيا
رائعا مع ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى الى القلب مع وصول اللفظ
الى السمع واستقر في الفهم ، مع وقوع العبارة في الاذن . (٢)
وقد أسهب عبد القاهر (٣)
في الحديث عن استحسانه لتلك الابيات التي أجاد في بيان حسننها ، حيث رأى أن
حسن الالفاظ وسلاستها مقرونة بحسن النظم الذي ادى الى تأليف الصورة

والباقلائي هما اللذان تأثرا بابن قتيبة في هذا الضرب من الشعر ، فقد مثل
بها قدامة ابن جعفر للشعر الذي يستجاد بالفاظه وان خلا من سائر نعوت
الجودة ، وتأثر به في الابيات وفي الفكرة نفسها ، على أن قدامة يشمرنا بأن —
هناك عيبا خارجا عن اللفظ ، أما ابن قتيبة فقد حدد ذلك العيب
بتفاهة المعنى . (انظر يدوى طيبانه : قدامة والنقد الادبي) مصر
١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م) : ص ١٤٩ — ١٥٠ .

(١) ابن طياطيا : عيار الشعر (القاهرة سنة ١٩٥٦ م ، ص ٨٤ .
(٢) عبد القاهر الجرجاني : اسرار البلاغة (تحقيق هـ . ريتراستانيول سنة —
١٩٥٤ م ، ص ٢٢ .

(٣) يقول عبد القاهر في حديثه عن ابيات الحجيج : " وأول ما يتلقاتك من محاسن
هذا الشعر أنه قال : " ولما قضينا من منى كل حاجة " . فعبر عن قضا
المناسك بأجمعها والخرج من فروضها ومنه من طريق أمكنه أن يقصر معه
اللفظ ، وهو طريقة المصوم ، ثم نبه بقوله : " ومسح بالاركان من هو مسح "

كما أرادها الشاعر • على أن ابن قتيبة لم يكتف بايراد تلك الإبيات التي
تصف عودة الحجيج • والتي اختارها تطبيقاً لقاعدته النقدية في الضرب الثاني

على طواف الوداع الذي هو "آخر الامر" ودليل السير الذي هو
مقصوده من الشعر قال : " اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا " فوصل
بذكر مسح الاركان ما يليه من زم الركاب ، وركوب الركبان ، ثم دل بلفظة
" الاطراف " على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف
في فنون القول ، وشجون الحديث ، أو ما هو عادة المتطوفين من الإشارة
والتلويح ، والرمز ، والايماء ، وأنباً بذلك عن طيب النفوس ، وقوة النشاط
وفضل الاغتباط ، كما توجهه ألفة الاصحاب ، وأنسة الاحباب وكما يليق بحال من
وفى لقضاء العباداة الشريفة ، ورجا حسن الاياب ، وتنسم روائح الاحبة
والاوطان ، واستماع التهناني والتحايا من الخلان والاخوان ، ثم زان ذلك
كله باستمارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه ، وآفاد كثيراً من الفوائد بلطف
الوحي والتنبيه ، فصيح أولاً بما أومأ اليه في الاخذ بأطراف الاحاديث
من انهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الواحل ، وفي حال التوجه إلى
المنازل ، وأخبر بمد سرعة السير ، ووطأة الظهر ، اذ جعل سلسلة سيرها
بهم كالما تسيل به الاباطح ، وكان في ذلك ما يؤكده ما قبله ، لان الظهور
اذا كانت وطيئة ، وكان سيرها السير السهل السريع زاد ذلك في نشاط الركبان ،
ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيباً ، ثم قال : " بأعناق المعطى " ولم
يقل : " بالمطى " لان السرعة والبطء يظهران غالباً في اعناقها ، وبين
امرءا من هواديسها وصدورها ، وسائر اجزائها تستند اليها في الحركة
وتتبمسحها في الثقل والخفة ويمبر عن المرح والنشاط اذا كانا في انفسها
بأفاعيل لها خاصة في العنق والرأس ويدل عليهما بمثائل مخصوصة في
المقادير " اسرار البلاغة : ص ٢٢ - ٢٣ . "

(١) من اضرب الشعر ، وانما اورد ابينا لجريز وصفها ايضا بقلة الفائدة
التي ترجع الى المعنى ، الا ان ابا هلال العسكري قد انكر على ابن قتيبة
ضعف ذوقه الذي جعله يقلل من قيمة تلك الابيات التي عبرت عن تجارب قائلها
ومن احساسه ومشاعره ، فقال في معرض الرد عليه : " وانا لا أعلم معنى أجود
ولا أحسن من معنى هذا الشعر " (٢)

وبعض ابن قتيبة في طريقه الذي اختطه لوضع قواعد للشعر متخذا اللفظ
والمعنى أساسا لذلك ، فيتحدث عن الضرب الثالث من اضرب الشعر وهو ما
جاد معناه وقصرت الفاظه عنه كقول لبيد :

(٣) ما عاتب المرء الكريم كنفسه * والمرء يصلحه المجلس الصالح

ثم يعلق على ذلك بقوله : " هذا وان كان جيد المعنى والسبك فانه قليل الماء
والروث " (٤) ولعله يقصد بقوله : " قليل الماء والروث " ان البيت انما يخاطب

(١) ابيات جريز هي قوله :

بان الخليط ولو طوعت ما بانا * وقطموا من حبال الوصل أقرانا
ان العميون التي في طرفها مرض * قتلنا ثم لم يحيين قتلنا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضف خلق الله أركاننا
(ابن قتيبة : الشعر والشعراء * ج ١ : ص ٦٨ .

والآن أي معنى يريد ابن قتيبة من هذه الابيات ، ان حقائقها المعنوية وقصص
لصاحبها الواصف لها ، فعبّر عن تلك الحقائق تبعا لتصوره لها ، فأتت
صورا جميلة صادقة .

(٢) العسكري : الصناعين * ص ٤ .

(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء * ج ١ : ص ٦٨ .

(٤) المصدر السابق : ج ١ : ص ٦٨ .

العقل ، اذ لم يكن للمعاطفة دور في التصوير الفني ، اولمله يقصد بذلك ،
الصلة الضعيفة التي نلمحها بين شطري البيت فهو معيب من ناحية اللفاظ .
وعلى هذا الاساس نلح أن الضرب الثاني ، والضرب الثالث معيان من ناحية
واحدة ، من ناحية عدم وجود الفكرة في الثاني ، وقلة الماء والرونق في الثالث
أما الضرب الرابع فقد وصفه بأنه ما * تأخر معناه ، وتأخر لفظه ، كقول الاعشى :

وفوها كأفاحي * * * غذاء دائم الهطل

(١) كما شيب براح بيا * * * رد من غسل النحل .

فهو معيب من كل ناحية ، واذا كان كذلك فالأولى به ألا يسميه شعرا ، لأنه
فقد ركني العمل الأدبي ، وهما اللفظ والمعنى ، وما يحدث بينهما من ترابط
يجعل من النص الأدبي وحدة متكاملة . وما تقدم نلمس عند ابن قتيبة أن تطلبه
لللفظ لا يقصد من وراءه اللفظ المفرد ، وإنما قصد مجموعة الأسلوب الذي يكتمل
به التأليف والنظم بما يضمن من لفظ مختار ، ووزن صحيح ، ووروى حسن ، أما تطلبه
المعنى فإنه يريد به وجود فكرة نغمية يفصح عنها البيت أو الأبيات ، ويتضح
ذلك من أنه عاب على الأصمى اختياره لقول المرقش :

* هل بالديار أن تجيب صم * لو أن حيانا طقا كلهم

يا بى الشباب الأقورين ولا * تنقبط أخاك أن يقال حكم

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ ص ٦٩ . اعتقد أن اختيار الأصمى
لهذا الشعر إنما كان لبحثه وراء الغريب من الألفاظ ، وتطلبه إياه .

اذ أدخله في متخيرته وهو شعر ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن الروى ، ولا -
(١)
متخير اللفظ ، ولا لطيف المعنى .

على أن ابن قتيبة لم يقتصر على تقسيمه الشعر الى أربعة أقسام متخذة اللفظ
والمعنى أساسا لذلك التقسيم ، فهو يرى أن هناك أثرا فنيا لجودة اللفظ
أو رداءته ، أو حسنه وقبحه ، حيث يقول : " وقد يقدح في الحسن قبح اسمه
كما ينفع القبح حسن اسمه ، ويزيد في مهابة الرجل فظاعة اسمه ، وترد عدالة
الرجل بكنته ولقبه ولذلك قيل ، اشفموا بالكنى فانها شبهة " .
(٢)
ولهذا عاب
شعر الخليل بن أحمد ،
(٣)
وأدخله في جملة الشعر المتكلف الرديء -

الصنعة ، حين أفسده بذكر بعض الاسماء البشعة في مقام التشبيب الذي يحتاج
الى أن يكون مستعذب الالفاظ ، جيد السبك حلوا المعاني ، سهلا غير متكلف
فقال : " ولو لم يكن في هذا الشعر الا " أم البنين " ، و " يوزع لكفاءكم " (٤)
يرى ايضا أن تكرير اللفظ في المعنى الواحد معيب واستشهد على ذلك

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء - ج ١ ص ٧٢ - ٧٣

(٢) المصدر السابق ج ١ : ص ٧٠ - ٧١ .

(٣) شعر الخليل بن أحمد هو قوله :-

ان الخليط تصدع فطر بدائك اوقع

لولا جوارحسان حور المدامع اربع

أم البنين وأسماء والرباب وسوزع

لقلت للراحل ارحل اذا ابدالك أودع . (ابن قتيبة : الشعر والشعراء

ج ١ : ص ٧٠ وهذا الشعر ليس معيبا بوزود الاسماء البشعة فحسب ، وإنما

معيب من كل ناحية ، لانه مكدود مستكره ، الفاظه غثة جافة ، وقافيته باردة فائرة

وما أجدر ما كان بهذه الصفة الا يسمى شعرا ، وان كان موزونا مقفى ، لان

المقصود بالشعر معدوم منه ، وما كان بهذه الهيئة من الشعر فان النفس

لا تتأثر به ، لان بشاعة معرضه تحول بينه وبين التأثر به .

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء - ج ١ : ص ٧٠

يقول الاعشى :

(١)

وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى شاو مثل شلول شلش شول .

فقد اورد اربعة الفاظ فى معنى واحد . وهذا ما يشين الكلام ويذهب بطلاوته

وكان يكفيه منها لفظ واحد .

وهكذا نلح من ابن قتيبة فى معالجته لقضية اللفظ والمعنى ، أنه قسم

الشعراء الى اضرى متخذا اللفظ والمعنى أساسا لذلك التقسيم ، وهذا فهم

منطقى لطبيعة الشعر ، فالشعر عنده عنصران لفظ ومعنى ، فمن صفات اللفظ

الذى يشمل الاسلوب بكل ما فيه : أن يكون أحسن شئ ، مخارج ومطالع ومقاطع

جيد السبك له ماء ورونق بعيدا عن التكلف والتعمل الردى ، ليس فيه

بشاعة ، ويكون كذلك خاليا من عيوب الشعر صحيح الوزن ، حسن الروى .

أما المعانى عنده فهى التى تتحدث عن تجربة ، أو أمر واقع فى الحياة

اذ رأى أن من المعانى ما لا يكون تحته فائدة نفعية كتلك التى تكون فكرة عادية

والتى مثل لها بالضرب الثانى من أقسام الشعر ، والمعجب منه أنه لا ينظر

الى العمل الادبى كوحدة متكاملة تتضمن الشكل والمضمون فى النص الادبى المتكامل

وانما يصدر حكمه على ذلك بمجرد نظره الى البيت والبيتين والثلاثة الابيات

احيانا . وهذا لا يساعد على تمكن الناقد من اصدار الحكم على العمل الادبى

ككل وابرار ما فيه من جمال فنى أو المكس . ولا شك أن العقلية العلمية

قد حدث بابن قتيبة الى أن يقسم الشعر هذا التقسيم المنطقي الذي لا يجدى شيئا ، اذ رأينا أن جميع الذين تناولوا تلك القضية لم يستطيعوا أن يتفقوا على الحسن الذي يكمن في اللفظ والمعنى أحدهما أو كليهما ، ودلينا على ذلك انهم اختلفوا حول الضرب الثاني من اضرب الشعر التي عالجها ابن قتيبة ، فمنهم من رأى في تلك الإبيات التي تصف عودة الحجيج المعنى الجيد فأنزها لجودة معناها ، ومنهم من اعتبر أن معناها عادي لا فائدة تحته .

وعلى هذا الاساس كانت احكام ابن قتيبة في هذه القضية — قضية اللفظ والمعنى قائمة على اساس منطقي غير فني — فقد حاول أن يجعل للشعر قواعد مستمدة حكمه من بيت واحد أو بيتين أو ثلاثة أبيات ، وأراد أن يجمع اللفظ في خدمة المعنى احيانا ، فتخبط في قضية العلاقة بينهما ، وشغل نفسه بهذا التقسيم المنطقي الذي دل على ضعف ذوقه في معالجته للقضية .

وقد تأثر بتلك التقسيمات بعض النقاد ممن أتى بعده فقام (١) بن جعفر نقل عنه الضرب الثاني من أقسام الشعر ، الا أنه ذهب الى أبعد من ذلك حيث تدبر الشعر فوجده ثمانية اضرب .

اما ابن طباطبا فانه رأى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى كالعلاقة بين الروح والجسد فهو وان سار على خط ابن قتيبة في محاولة الربط بين اللفظ والمعنى

(١) انظر . قدامة بن جعفر : نقد الشعر : ص ١٤٩ — ١٥٠ .

الا أنه أوضح من ابن قتيبة في ذلك الخط ، لانه لم يقتصر في العلاقة بينهما على الوجوه الاربعة التي ذكرها ابن قتيبة ، فحاول أن يحرر نفسه من التقسيم المنطقي ، الا أنه وقع في نفس الخطأ من حيث لا يشعر ، حيث شغل نفسه بتقسيمات للشعر تقوم اولا على المعنى ثم اللفظ ثانياً .^(١)

الا أن المسألة بدأت تأخذ شكلها الصحيح عند الذين تناولوا البحث في اعجاز القرآن من أتوا بعد ابن قتيبة ، حيث كانت المعطى والالفاظ موضع اهتمامهم على السواء فالرمانى :^(٢) "يرى أن أعلى درجات البلاغة " ايصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ " .^(٣) وأن جمال الاسلوب ورونقه يكون " باجتماع امور يظهر بها للنفس أن الكلام من البلاغة في أعلى طبقة ، وان كان يلتبس فيما قل بما حسن به جدا لا يجازه وحسن رونقه ، وعذوبة لفظه ، وصحة معناه " .^(٤)

اما الخطابي :^(٥) فقد بنى نظريته في النظم بتقسيم الكلام الى ثلاثة أقسام

- (١) انظر ابن طباطبا : عيار الشعر ص ٤٩ - ١٠٦
- (٢) هو : ابو الحسن علي بن عيسى الرمانى المعتزلى - كان يعرف بالاخشيدي نسبة الى استاذة ابن الاخشيدي والوراق لانه كان يحترف الوراقة ، والمعتزلى لانه كان من المعتزلة ولد سنة ٢٧٦ هـ وتوفي سنة ٣٨٤ هـ له كتاب " النكت " في اعجاز القرآن نشر ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن " نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦ م " .
- (٣) د . محمد زغلول سلام : أثر القرآن في تطور النقد العربى " مصر سنة ١٩٦٨ م ص ٢٣٦ .
- (٤) المصدر السابق : ص ٢٥٠ - ٢٥١ .
- (٥) ابو سليمان الخطابي : احمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي البشقى ولد سنة ٣١٩ هـ من أئمة المحدثين بنى سابور له كتاب " بيان اعجاز القرآن " نشر ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن " نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦ م " .

يكون باجتماعها قد اكتسب الوحدة التي هي من صفات الكلام الجيد ، وتلك الاقسام

هي :-

١- لفظ حامل .

٢- ومعنى به قائم .

٣- ورباط لها ناظم .^(١)

وهو بهذا قد ادرك الصورة التي عليها مدار اعجاز القرآن فهو " انما صار معجزا لانه جاء بأفصح الالفاظ في أحسن نظم التأليف مضمنا أصح المعاني"^(٢).

على أن كل الدراسات والبحوث التي دارت حول قضية اللفظ والمعنى قد وصلت جميعها الى عبد القاهر الجرجاني ، فكانت بمثابة جداول غنية أثرت نظريته النظم التي تبناها عبد القاهر واكتملت على يده ، وقد صرح بذلك حيث قال : " ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة ، والبيان والبراعة ، وفي بيان المفزى من هذه المبارات وتفسير المراد بها . . . ووجدت - المعمول على أن ها هنا نظما وترتيبا ، وتأليفا ، وتركيبا ، وصياغة وتصويرا - وتحجييرا ، وان سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها فليس الأشياء التي هي حقيقة فيها . وأنه كما يفضل هناك النظم والنظم والتأليف التأليف . والنسب والنسب ، والصياغة الصياغة ، ثم يحظم الفضل ، وتكثر المزية

(١) د . محمد زغلول سلام : أثر القرآن في تطور النقد العربي . ص ٢٥٧ .

(٢) د . محمد زغلول سلام : أثر القرآن في تطور النقد العربي . ص ٢٥٧ .

حتى يفوق الشئ نظيره • والمجانس له درجات كثيرة ، وحتى تتفاوت القيم
التفاوت الشديد كذلك يفضل بعض الكلام بعضا ويتقدم منه الشئ الشئ^(١) .
وقد أسهب الجرجاني في شرحه لنظريته في الفصاحة والبلاغة التي يعنى بهما
اجادة القول ، وحسن البيان ، مع اخضاعهما للتفصيل ، إذ " لا بد لكل كلام
تستحسنه ولفظ تستجسده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة^(٢) .
وكانه بأسهابه في شرح نظريته وتكريره وترجيحه أحيانا ، إنما يقف موقف المحتج
الذي يحاول أن يرد حجج مذهب المتطوفين في قضية اللفظ والمعنى ، الذين
حاولوا تقديم أحدهما على الآخر •

ولقد كانت الصورة التي تربط بين اللفظ والمعنى عند عبد القاهر أوضح وأدق
منها عند غيره ممن سبقوه • فكانت عوناً له في كشف أسرار الجمال في العمـ
الادبي ، لأن بلاغة القول لا تكون إلا في اجتماع اللفظ والمعنى ، مع حسن
التركيب ، وجودة السبك وارتباط اجزاء القول •

(١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز (مصر ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م) ص
٨٠ - ٨١ •

(٢) المصدر السابق : ص ٨٥ •

الفصل الرابع

=====

دواعى حفظ الشعر واختياره

=====

شفف النقاد المرب بجمال التعبير وأناقته ، واصابة المعنى ، وحسن
المطالع والمقاطع ، والتثام أجزاء النظم ، وتفننوا فى تمييز الكلام جيده
من رديئه .

(١)
وقد كان كثير من النقاد يتخذون الجودة فى الشعر مقياسا للمفاضلة
بين الشعراء ، فمتى كان الجيد فى شعر الشاعر اكثر من الجيد فى شمس
غيره كان المقدم ، ومن هؤلاء ابن قتيبة حيث يقول : " ولا أحسب أحدا
من أهل التمييز والنظر ، نظربعين المعدل وترك طريق التقليد يستطيع
أن يقدم أحدا من المتقدمين المكثرين على أحد الا بأن يرى الجيد فى شعره
(٢)
اكثرا من الجيد فى شعر غيره . "

(١) جعل ابن سلام الجودة والكثرة معا الاساس الذى أقام عليه طبقات الشعراء
لكنه قدم الجودة على الكثرة حيث يقول : " وكان الاسود شاعرا فحسلا
وكان يكثر التنقل فى المرب يجاورهم فيندم ويحمد وله فى ذلك أشعار ، وله
واحدة رائعة طويلة لاحقه بأجود الشعر لو كان شفمها بمثلها قدمناه على
مرتبه وهى :
نام الخلى وما أحسن رقادى * والهم محتضر لدى وسادى .
وله شعر جيد ولا كهذه . " ابن سلام . طبقات فحول الشعراء . القاهرة
١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ج ١ . ص ١٤٧ . ومن هذا النص يتبين أن ابن
قتيبة يتخذ من الكثرة مقياسا لقيمة الشعر كما فعل ابن سلام .

(٢) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ . ص ٨١

وقد يبدو مقياس الجودة في المفاضلة بين الشعراء موضوعيا لانه يتصل بالشعر من حيث هو ولا يتصل بالشاعر . الا أن هذا المقياس النقدي يتوقف تحقيقه على مدى القدرة على التمييز بين جيد الشعر وردئيه وهذا لا يتنهيا الا لمن بلغ منزلة واسعة في معرفة اساليب الكلام المرسى .

الا أن الحكم على شعر الشاعر وتفضيله على شعر آخر يخضع عند ابن قتيبة لعدة عوامل . منها ما ذكره في النص السابق ، وهو التقديم على أساس الجودة وكثرتها في شعر الشاعر المفضل عنها في شعر غيره .

ومنها ان هناك ظروفا عدة قد تستدعي القارئ احيانا لاختيار النصوص تبعا لاتجاهات وميول معينة خاصة به دون أن يعتمد أساسا فنيا لاختيارها .

ومذلك أراد ابن قتيبة أن يخضع اختيار الشعر احيانا لظروف معينة عن طبيعة النقد ، فقد رأى أن اللفظ والمعنى ليسا كل شيء في الشعر وأن هناك امورا أقرب الى روحه ، كما رأى أن حفظ الشعر وتداوله بين الناس ليس دائما دليلا على جودته . فهو يقدم الشاعر أو يختار شعره على أساس يذكرها بعضها نقدي سليم وبعضها ليس كذلك . فهو مثلا يقدم الشعر الذي يشغل الذهن بطول القراءة والغوص وراء استخراج المعاني الجيدة .

" قال الرشيد للمفضل الضبي : اذكر لي بيتا جيد المعنى يحتاج الى مقارعة الفكر في استخراج خبيئه ثم دعني واياه . فقال له المفضل : أتصرف بيتا أوله أعرابي في شملته ، هاب من نومته كأنما صدر عن ركب جرى في أجفانهم الوسن فركد ، يستفزهم بعنجهية البدو وتعجرف الشدو ، وأخسره مدني رقيق قد غذى بماء المقيق ؟ قال : لا أعرفه قال : هو بيت

جميل بن معمر :

ألا أيها الركب النيام ألا هيو .

ثم أدركته رقة المشوق فقال :

أسألكم هل يقتل الرجل الحب .

قال : صدقت ، فهل تعرف أنت الآن بيتاً أوله اكم بن صيفى فى أصالة

الرأى ونبل المحظة ، وآخره ابقراط فى معرفته بالداء والدواء ؟

قال المفضل : هولت على فليت شعرى بأى مهر تفتت عروس هذا

الخدر ؟ قال :

(١)
ياصفائك وانصافك ، وهو قول الحسن بن هانى .

(٢)
دع عنك لوى فان اللوم اغراء * وداونى بالتي كانت هى الداء

وواضح أن القياس هنا ليس سليماً لان الفوس هنا فى حقيقته ليس وراء معنى

جيسد كما ذكر ابن قتيبة وانما هو وراء حل لما يشبه الالفاز والاحاجى .

ويرى ابن قتيبة ان من دواعى حفظ الشعر واختياره انه متى اتفق -

الشاعران فى أصل المعنى فزاد أحدهما على الآخر عرف للمتأخر فضله

فى تلك الزيادة فقد " كان الناس يستجدون للاعشى قوله :

وكأسى شربت على لسدة * وأخرى تداويت منها بها .

حتى قال ابو نواس :

(١) فى هامش الشعر والشعراء ج ١ ص ٧٤ " يا صفائك وانصافك " عن مخطوطتى
برلين وباريس .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٧٣ - ٧٤

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء .

فسلخه وزاد فيه معنى آخر ، اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه ، ففلا عيش
فضل السبق اليه ولبي نواس فضل الزيادة فيه :^(١)

كما يرى أن من أسباب اختيار الشعر وحفظه " الاصابة في التشبيه

كقول القائل في وصف القمر :

بد أن بنا وابن الليالي كأنه * حسام جلت عنه القيون صقيل
فما زلت أفنى كل يوم شبابه * إلى أن أتتك الميسى وهو ضئيل^(٢)

وقد تحدث ابن قتيبة عن حسن التشبيه في الشعر في كتاب " عيون
الاخبار " وكان موافقا في اختياراته إلى حد ما لتلك التشبيهات مبيها
أحيانا وجه الشبه بين ركني التشبيه ومن ذلك قول الزبير الأسدي في
الثريا :

" وقد لاح في النور الثريا كأنما * به رايت بيضا تخفق للطمن
شبه الثريا حين تدلت للمغيب براءة بيضا خفقت للطمن " ^(٣)

كما كان لاطلاعهم الواسع على الثقافة الأدبية ومعرفته بأساليب الكلام
المربى وطرقه ومناهجه ذا قدرة على الكشف عما ينفرد به بعض التشبيهات

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ : ص ٧٣

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٨٤

(٣) ابن قتيبة : عيون الاخبار ج ٢ : ص ١٨٦

من أوجه الحسن أو القبح فقد قال أعرابي في امرأة:

- قامت تصدى له عمدا لتقتله * فلم ير الناس وجدا مثل ما وجدا
- بجيد آدم لم تعقد قلائده * وناهد مثل قلب الطيب مانهدا

فقال ابن قتيبة: " شبه ثديها في نهوده بقلب الطيب في صلابته " ولا
(١)
نعلم أحدا شبه الثدي بقلب الطيب غيره "

وقد أخذ ابن قتيبة في تعداد دواعي حفظ الشعر باعتبار ذلك من علاما

جودته فقال: " وقد يحفظ ويختار على خفة الروي كقول الشاعر:

- يا تملك يا تملكى * صلينى وذرى عذلى
- ذرىنى وسلاحى * سم شد الكف بالفـمـزل
- ونبلى وفقاها كـمـ * راقيب قطا طحـمـل
- ومنى نظرة بـمـدى * ومنى نظرة قبـلـى
- وثوى جديـمـدان * وأرضى شرك النـمـل
- وأما مت يا تملكى * فكونى حرة مثلى

(٢)

وكقول الآخر:

- ولو أرسلت من حبـمـ * لك مبهوتا من الصـمـين
- لوافيتك قبل الصـمـ * ح أو حين تصلـمـين

(٣)

وابن قتيبة لم يكن حرا في هذا الاختيار لانه بنى اختياره على اختيار الاصمى

(١) ابن قتيبة: عيون الاخبار ج ٢ ص ١٨٨

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ج ١ ص ٨٥ • الابيات للفنـد الزمانى

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٨٦

دون أن يذكر تحليلاً لذلك • حيث علق على الأبيات السابقة بقوله :
 " وهذا الشعر مما اختاره الأصمى بخفة روية " ^(١) وعلق على
 البيتين الآخرين بقوله : " وكان يتمثل بهذا كثيراً " ^(٢) يعنى الأصمى .
 فنحن نوافق ابن قتيبة في أن الشعر يختار ويحفظ على خفة الروى
 ولكن ليست تلك الخفة التى تفقد الشعر رونقه وجماله إذ أن الروى لا يمثل
 إلا جزءاً يسيراً من النص الشعرى بحيث لا نستطيع أن نحكم على الشعر
 بمجرد النظر إلى خفة الروى ، كما أن اختيار ابن قتيبة لتلك الأبيات
 التى استشهد بها لهذا النوع من الشعر لم يكن سليماً ، فقايتها باردة
 فاترة وشعرها ركيك مستهجن لم ترق لمن له أدنى معرفة بصناعة الشعر ^(٣) .
 وهناك نوع آخر من اختياراته مبنى على ندرة الشعر وقلته حيث
 يقول : " وقد يختار ويحفظ لأن قائله لم يقل غيره • أولان شعره

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء • ج ١ : ص ٨٥

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٨٦

(٣) انتقد صاحب الصنائع أبيات الفند الزمانى التى استشهد بها
 ابن قتيبة للشعر المختار على خفة الروى وهى قوله :

يا تملك يا تملكى * صلينى وذرى عذلى
 فقد اورد ابو هلال البيتين الاولين من تلك الابيات مع شىء من التحريف
 فى الالفاظ ووصفها بأنها من الشعر البارد المردود المذموم • انظر
 الصنائع : ص ٥٩ .

اما البيتين الآخرين وهى قول الشاعر :

ولو ارسلت كجـ * لك مبهوتا من الصيـ
 لو افتيك قبل الصبـ * ح أو حين تصلـين

فقد قال ابو هلال عنهما عن القتبى أن الأصمى كان يستحسنهما
 " وهما على ما تراهما من دناءة اللفظ وخساسته وخلوقة المعروض وقبحته " .
 المسكرى • الصنائع : ص ٤ .

قليل عزيز كقول عبد اللهن أبي سلول المنافق :

متى ما يكن مولاك خصمك لا تنزل * تذلل ويعلوك الذين تصارع
(١) وهل ينهض البازي يغير جناحه * وان قصى يوما ريشه فهو واقع
وهذا المقياس لا يسلم به لانه لا يعتمد أساسا فنيا ، لان من كان شعره
نادرا وقليل لا يمكن أن يرقى بحال من الاحوال الى درجة الشعر
الحسن الكثير الذي ينتشر بين الناس ويحتل مكانة في نفوسهم . ولقد
اضطره هذا النوع من الاختيار الى أن يورد اشعارا غثة مستكرهة
بحجه أنه لم يسمع لقائلها غيرها ، ثم لا يسمعه الا مريد ذلك الا أن
يعترف بأنها ليست من الشعر المختار ، كما فعل ذلك مع هشام بن
(٢) عتبة أحد اخوة ذي الرمة حيث اورد له قصيدة من اثني عشر بيتا

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ ص ٨٦
(٢) ابیات هشام هي قوله :

حتى اذا أمعروا صفقى مباءتهم * وجرد الخطب أثبا جراثيم
وأبد ذو المحضر البادي ابايته * وقوضت نية أطناب تخيم
الوى الجمال هراويل المقاء بها * وبالمناكب ريع غير مجلوم
تصطك اغناقها والبق تقدها * حتى أناخوا فزموا كل مزوم
من كل أكلف أو أجأى تنط له * أنساع تابوت جوف غير مهضوم
عركمك مهجر الضؤ بان أومه * روض القذاذ ربيعا أي تأوهم
ما من مذلهن البهيم تبقلها * قينيه في مرتع أرماث ترميم
حتى رمى أمهات القرد خابطها * بالناصلات أنا بيشا بتسهميم
واستن فوق الحذارى القلقان كما * شكل الشنوف يحاكي بالهيانيم
بعد المصيف الى خبراء معقلة * حتى يموت سمال الصيف بالعموم
من الفراش المقضى عاش في رنق * رخف السحايات ولى غير مطعموم
كان أجسادها الاظفار جامدة * في قنف الصقر الآنى الشراذيم

(ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ ص ٥٢٨ - ٥٣٠)

ثم علق عليها بقوله : " ولم أذكر هذا الشعر لأنه عندى مختار
(١)
ولكن ذكرته لأنى لم اسمع لهشام بشعر غيره " .
ويمضى ابن قتيبة فى ذكر بعض الوجوه التى يختار عليها الشعر ويحفظ
حيث يقول : " وقد يختار ويحفظ لأنه غريب فى معناه كقول القائل
فى الفتى :

(٢)
ليس الفتى يفتى لا يستضاء به * ولا يكون له فى الارض آثار
ويقصد بالمعنى الغريب : الطريف المبتدع الذى ابتدعه قائله
والغريبة فـ المعنى
لا تكون حسنة مستعذبة إلا اذا كان المعنى جيدا يدل على
مقصد الشاعر . اما اذا كان المعنى الغريب بعيد التناول لا يصل
اليه الانسان الا بطول الكد والفؤى فهذا هو المردود المردول .
ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع " (٣) الذى اذا سمعه الانسان
المادى خيل اليه انه يستطيع أن يصنع مثله ولكنه عند القيام بالمحاولة
يدرك مدى قصوره وعجزه عن الاتيان بمثله .

ورأى أن من دواعى حفظ الشعر واختياره ايضا ما المح اليه من
أن أجود الهجاء ما سجل صفات المهجوفى عبارة موجزة ليكون ذلك

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٤٣٠ - ٤٣١

(٢) المصدر السابق . ج ١ : ص ٨٦

(٣) المسكرى . الصناعيين . ص ٦١

ادعى الى انتشاره وذيوعه بين الناس بسرعة . (١) اذ الشاعر الهاجسي يريد أن يقرب معناه ، ويسهل لفظه حتى يكون ذلك أسرع على القلب واللسان بالنفس وعلى هذا رأوا أن قصر الهجاء أجود . قيل لمقيل بن علفة : مالك لا تطيل الهجاء ؟

فقال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالمنق . (٢) وهذا النص يدل على أن الهجاء إذا سجل صفات المهجو في أبيات موجزة كانت الاطالة بعد ذلك عبثاً لا فائدة وراءها . وقد سئل " أبو المصنوع الاسدي (٣) لم لا تطيل الهجاء ؟ فقال : لم أجِد المثل السائر الا بيتاً واحداً . فرأى أن قصر الهجاء من اسباب انتشاره وذيوعه بين الناس .

وابن قتيبة لم يكن الناقد الاول الذي ألمح الى تلك الناحية في قصر الهجاء ، فقد سبقه الى الحديث عنها الجاحظ ، حتى أن ابن قتيبة لم يأت بشيء جديد في ذلك بل نقل النصين السابقين من كتاب البيان والتبيين (٤) دون أن يشير الى أنه نقلهما عن الجاحظ او غيره .

هذا وقد قدم ابن قتيبة في ترجمته للشمراء كثيراً من اختياراته للشمر الجيد المتصلة بطبيعة الشعر الا أنه حاول أن يخضع تلك الاختيارات

- (١) كان أكثر الشعراء يرون أن قصر الهجاء أجود الا جريراً فإنه قد خالفهم في ذلك ، اذ مال الى الإيجاز في فن المديح والاطالة في الهجاء فقال لبنيه : " اذا ما دحمت فلا تطيلوا المادحة واذا هجوتهم فخالقوا " ابن رشيقي . الممدح . ج ٢ ص ١٧٢ .
- (٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ ص ٧٦ .
- (٣) المصدر السابق . ج ١ ص ٧٦ .
- (٤) انظر الجاحظ . البيان والتبيين . ج ١ : ص ٢٣٠ .

تبما لاتجاهه وميوله .

وقد يرد ابن قتيبة شعرا لشاعر ما على اساس خلقى بصرف النظر
عن جودة هذا الشعر أو رداً له . فقد عاب على امرئ القيس تصريحه
بالزنا والديب الى حرم الناس لان الشعراء كانت تتوقى ذلك وان فعلته
وهو فى ذلك انما يؤمن بأن للشعر غاية خلقية . وقد حرص على هذه
الغاية فى كتابه « عيون الاخبار » حيث يقول عن الكتب الادبية التى
ينتظمها هذا الكتاب . " جمعت لك منها ما جمعت فى هذا الكتاب
لتأخذ نفسك بأحسنها وتقومها بثقافتها وتخلصها من مساوىء الاخلاق
كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها ، وتروضها على الأخذ بما فيها
من سنة حسنة وسيرة قويمه وأدب كريم وخلق عظيم " (١)

وقد أفرد ابن قتيبة فصلاً مصغراً فى كتاب العلم والبيان من عيون -
الاجبار تحت عنوان : " الابيات التى لا مثل لها " (٢) وكان أكثر
تلك الابيات يتحدث عن اكرام النفس ، والاستمفاف والاقدام ، والحرص
على الصبر . وعن الجود وحسن الجوار . وترك اللجاج ، وفى اتفاق
المال ، والتوكل على الله تعالى وغير ذلك من الامور التى تساعد على تقويم
التربية الاسلامية .

(١) ابن قتيبة . عيون الاخبار . ج ١ . المقدمة . ص ١٠

(٢) المصدر السابق . ج ٢ . ص ١٩١ وما بعدها .

كما أن من الشعر المستجاد عنده ما حوى فكرة صادقة ^(١) ودعى
الى مكارم الاخلاق واصلاح المجتمع وثقويته ، وما اشتمل على الحكمة
والمثل أو وصف الخيل وهو كثير فى اختياراته . واعتمد الاجادة
ايضا اذا احتوى الشعر على كلمات غريبة يحتاجها اللغويون شاهدا
لفويها ، فقد استجاد أبيات ابى ذؤيب الهذلى : ^(٢)

ما حمل البختى عام غياره * عليه الوسوق برها وشعيرها
أتى قرية كانت كثيرا طعامها * كرفع التراب كل شئ يميزها

لانه رأى أن الاصمى استخرج منها كلمة " رفع " الدالة على كثرة التراب
فى الارض . بل أن ابن قتيبة قد جاء باختيارات لا تتصل بطبيعة الشعر
وانما بقائله حيث يقول : " وقد يختار ويحفظ ايضا النبل قائله كقول المهدي :
تفاحة من عند تفاحه * جاءت فماذا صنعت بالفؤاد .
والله ما ادرى أبصرتها * يقظان أم أبصرتها فى الرقاد . ^(٣)

فقد جعل ابن قتيبة للشخصية الشريفة تأثيرا فى الاختيار ولذلك فان
من الصعب جدا أن نوفق بين هذا الاختيار وبين رداءة الشعر اذا اتى
من الشريف . فلقد تنكر ابن قتيبة لبعض ما بنى من أسس نقدية وضعها

(١) انظر فى ذلك الفصل السابق .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ٢ : ص ٦٥٥ .

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ٨٦ - ٨٧ .

فى صدر كتابه حينما وقع فى هذا النوع من الاختيار لانه قد التزم العدل قبل ذلك حيث يقول : " فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه ، ولم يرضه عندنا تأخر قائله أو فاعله ، ولا حدائسه سنه . كما أن الردى إذا ورد علينا للمقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه . " (١) ولا شك أن مثل هذا الاختيار يدل على خطأ فى الموقف النقدي لابن قتيبة الذى عول على قائل الشعر بدلا من أن يعول على الشعر نفسه . فهل نترك الشعر الجيد إذا أتانا من الوضع مثلا أو نقدم عليه الشعر الردى إذا جاءنا من الشريف ؟ . هذا ما يجافيه الذوق السليم وينتقده كل من له علاقة بصناعة الشعر .

وعلىنا أن نعلم أن تلك الأسباب والعوامل التى اختار ابن قتيبة عليها الشعر غير عامل الجودة فى الالفاظ والمعانى أسباب ترجع اما الى تلك النزعة التأثرية السريعة أو الى خطأ فى الموقف النقدي . أو الى فساد فى الذوق ، لأنها فقدت العنصر الموضوعى الذى ينبسنى عليه الاستحسان والحفظ والاختيار ، وهو وان لم يهمل الذوق فى اختياراته الا اننا لم نظفر منه بذلك الذوق السليم المدرب المعارف بأسباب الجودة ، لأنه اراد أن يختار الشعر تبعا لميوله الخاصة دون مراعاة

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٦٣

منه في اشراك الآخريين معه في الاختيار .

على أن ابن قتيبة وإن كان كثيراً ما يصدر أحكامه النقدية على أساس مبادئ نقدية سليمة فهو كثيراً ما يبنى اختياراته على أساس عمود الشعر ، وإن كان هذا لا يعني أنه ناقد اتباعي للقدمات بقدر ما هو إيمان منبج القيمة الفنية لتلك الخصال . إلا أن أكثر ما جاء به في استجادة الشعر كان قاصراً عن جماله الفني لأنه لم يستوعب كل أنواع الشعر الجيد الذي لا تربطه روابط ولا تحده رسوم . ولكنها عقلية ابن قتيبة العلمية البعيدة عن روح النقد الأدبي التي استهانت بأبيات جرير ^(١) الغزلية إذ لم تجد وراءها فائدة وهي زاخرة بالمعاني حافلة بأرق أنواع الشعور والتي استجادت قول الشاعر :

يا تملك يا تملسى * صلينى وذرى عذلى

فجعلتها من الشعر الجيد الذي يحفظ ويختار على خفة الروى على ما فيها من الفاظ مستهجنة وتركيب ركيك وفتور في رويها .

من ذلك يبدو أن نقد ابن قتيبة فيه شيء من السطحية ، فهو لم يفس في ما هببة الشعر . كما يذهب أحياناً إلى استنباطات بعيدة

(١) انظر أبيات جرير في قضية اللفظ والمعنى ، في حديثنا عن الضرب الثاني من ضرب الشعر .

(١)
عن مفهوم الشعر * ويحكم على الشعراء * ويقوم شعرهم بناءً على ما
اشتهر من أمرهم *

هذا وإذا كان ابن قتيبة قد بنى أحيانا استحسانه للشعر على استجاده
من سبقه فإن له مواقف انتقاد على العلماء في استحسانهم لبعض الشعر
او العكس من ذلك * وان كانت تلك المواقف ضئيلة جدا كما فعل في قول
النابغة :

خطاطيف حجن في جبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

" قال أبو محمد : رأيت قوما يستجيدونه * وهو عندي غير جيد في المعنى
(٢)
ولا التشبيه " لانه قد شبه النعمان في قدرته وسطوته بخطاطيف
عقف يمد بها * وشبهه النابغة نفسه بدلو تمد بتلك الخطاطيف * وقد
قام ابن قتيبة بتحليل بعض المعاني التي استقبحها العلماء مبينا وجهه
الحسن فيها * فقد عابوا على امرئ القيس قوله :
(٣)

فمثلك حبل قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذي تمام محول
إذا ما بكى من خلفها انحرفتله * يشق وتحتى شقها لم يحول

(١) من ذلك شرحه لقول امرئ القيس :
يفكهننا سعد وينعم بالنسا * ويغدو علينا بالجفان وبالجزره *
ونصرف فيه من أبيه شمائل * ومن خاله ومن يزيد ومن حجر
فقد علق على هذين البيتين بقوله : " وهذا الشعر يدل على أن
العرب كانت في الجاهلية ترى الولد للفراش " (ابن قتيبة
الشعر والشعراء ج ١ : ص ١١٧) ولا شك أن هذا استنباط
بعيد لا يدل عليه معنى البيتين *

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ : ص ١٧١

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٣٥

(١) فرأوا بذلك أنه زير نساء وأنه قد تعهر وفجر في هذا الشعر . وقد
 شرح ابن قتيبة البيتين شرحاً جيداً أقرب إلى الصحة ولم ير فيهما عيباً
 " لأن المرضع والحبلى لا تريد أن الرجال ولا ترغبان في الفكاك فإذا
 أصباهما وألهاهما كان لغيرهما أشد إصباً والهأ " (٢) " وغنى عن
 البيان أنه في هذا تنكر للمقياس الخلقى الذى دعا إليه كما سبق ،
 فرأى أن فحش المعنى في نفسه لا يزيل جودة الشعر فيه .
 (٣) كما عابوا على امرئ القيس أيضاً قوله :

أغرك منى أن حبك قاتلى * وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل
 فقالوا : إذا لم يفررها هذه الحال منه فما الذى يفرها . وقد شرح
 ابن قتيبة البيت في معرض الرد على أولئك الذين عابوه فقال : " أنه
 لم يرد يقوله " حبك قاتلى " القتل بعينه وإنما أراد به أن نقد بسرح
 بى فكأنه قد قتلنى . وهذا كما يقول القائل : قتلتنى المرأة بدلهما
 ومعينها ، وقتلنى فلان بكلامه " (٥)
 على أن المتأمل فى البيت يرى أن امرأ القيس إنما أراد من محبوبته أن تخلص
 لهواه وتستجيب له كما استجاب هو لها ، وهذا المعنى لم يفتن له ابن قتيبة .

- (١) انظر : الباقلانى : اعجاز القرآن : ص ١٦٦ - ١٦٧ ، والمرزبانى :
 الموشح : ص ٣٤ .
 (٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ١٣٥ .
 (٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٣٥ .
 (٤) انظر : (المرزبانى : الموشح : ص ٣٢) و (الباقلانى : اعجاز
 القرآن : ص ١٦٨) و (العسكري : الصنائع : ص ٤٧٣ - ٤٧٤) .
 (٥) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ١٣٥ .

الفصل الخامس

=====

المتكلف والمطبووع

=====

من الظواهر الأدبية التي تطرق لها ابن قتيبة معالجته لنظرية المتكلف والمطبووع من الشعر، فقد ذهب أكثر النقاد المرب إلى أن الشعر صناعة تشبه سائر الصناعات، وهذا المفهوم بدأه ابن سلام في كتاب "طبقات فحول الشعراء" وسار على نهجه من أتى بعده من النقاد .

فالدربة في الصناعة أمر ضروري في كل الحالات ، إذ لا يستطيع المشتغل بالنقش أو بالتصوير مثلاً أن يبرز فيها ما لم يمهّد لنفسه بالدربة والمران حتى يصل إلى درجة من الاتقان والاجادة في صنعه ، وكذلك الحال بالنسبة لأي فن من الفنون فإنه لا يجيده إلا المتخصصون الذين تكونت عندهم الدراسة والممارسة في ذلك الفن ، وهذا لا يضع من وجود تفاوت يختلف قرىباً وبعداً بين أصحاب الفن الواحد ، لأنهم لا يكونون بحال من الأحوال على درجة واحدة في الاجادة والاتقان، ولما كان الشعر أحد هذه الصناعات فطبعي ألا يتقنه إلا متدربون مارسوا الأدب وتكونت عندهم ثقافة أدبية واسعة اكتسبتهم ملكة شعرية متدققة . فالشاعر صانع لشعره يجوده ويقومه فيستبدل كلمة بغيرها أو حرفاً ^{بآخر} أجود منه حتى تستقيم عنده القصيدة كاملة مستويصة ، وقد وجدت هذه الصناعة الشعرية منذ العصر الجاهلي ، فقد تكونت مدرسة الصنعة والنظر في الشعر والوقوف عند كل بيت قاله الشاعر على يد أوس بن حجر بن عتاب فحل مضر ، وكان من أبرز شعرائها زهير بن أبي سلى والخطيئة . فالخطيئة يرى أن " خير الشعر الحولى المحكك " ^(١) وقد

فسر سويد بن كراع المعكلى الصنعة فى الشعر والقيام عليه أحسن تفسير
(١)
فى قوله :

أبيت بأبواب القوافى كأنما * أصادى بها سرا من الوحش نزعا
أكلثها حتى أعرس بعد ما * يكون سحيرا أو بميد فأهجما
إذا خفت أن تروى على رددتها * وراء التراقى خشية أن تظلمما
وجشمنى خوى ابن عفان ردها * فتثقتها حولا جريدا ومريما (٢)
وقد كان فى نفسى عليها زيادة * فلم أرا إلا أن أطيع وأسمما

ولما كان الشعر صناعة فلايد من تعلمود راسته على أيدى الشعراء
المشهورين ، وكثير من الشعراء المبرزين تعلموا الشعر عن لازموا مدة
طويلة وأخذوا الشعر عنهم " فقد كان كثيرا أخذ الشعر عن جميل وأخذه
جميل عن هذبة بن خشرم وأخذه هذبة عن يشر بن ابن خازم وكان الحطيئة
قد أخذ علم الشعر عن زهير وأخذه زهير عن أوس بن حجر ، وكذلك جميع
شعراء العرب المجيدين المشهورين " (٣)

وقد اشتهرت مدرسة أوس بن حجر وجماعته بطول الروية والأناة حتى
كانت بعض قصائدهم تمكث حولا كاملا ينقحونها ويفتشونها ويعيدون فيها
النظر حتى لا تكون اشعارهم عرضة لنقد يمكن ان ينال من قيمتها الفنية .
ولعل ذلك أهم الأسباب التى جعلتهم يخبذون الثانى فى اظهار قصائدهم .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء ج ١ : ص ٧٨ .

(٢) قوله " ابن عفان " هو الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، فقد كان
الشاعر هجا قومه ، فوصل خبره عثمان فأخذ عليه اليهود الايعود الى
هجائهم .

(٣) القرطاجنى : منهج البلغاء وسراج الادباء . " تونس ١٩٦٦ " : ص ٢٧

وقد رأى الجاحظ أن زهير بن أبي سلمى إنما كان ينقح شعره " اشفاقا
 على أدبه واحرازا لما خوله الله من نعمته " ^(١) إلا أنه بعد ذلك غسب
 فكرته هذه وأخذ يملل لهذه النزعة بأن من دوافعها المدح والتكسب
 بالشعر " أن من تكسب بشعره والتسب به صلات الأشراف والقادة ، وجوائز
 الملوك والسادة في قصائد السماطين وبالطوال التي تنشد يوم الحفل
 لم يجد بدا من صنيع زهير والحطيئة وأمثالهما " ^(٢) وفكرته الأولى
 على ما يبدو أرجح لأن كثيرين من الشعراء مدحوا بدون دافع الرجاء
 وإنما اعظاما لمن مدحهم واعجابا بهم ، فامرؤ القيس مدح بني تميم
 رهط المعلى بقوله :

أقرحشا امرؤ القيس بن حجر * بنوتهم مصابيح الظلام ^(٣)

وهو لا يريد أن يلتص منهم صلة مادية لأنه ملك وابن ملك ينفق المال —
 لذوى السؤال • فليس المدح دافعا حتميا لاتقان الشعر والاجادة فيه .
 ولم يكن القدماء من الشعراء هم الذين كانوا يمثلون هذه الصنعة المحمودة
 في الشعر بل كان هذا أيضا دأب المحدثين من الشعراء • وقد وضع
 أبو هلال العسكري نموذجا يسير عليه الشاعر الذي يريد أن يجود في صنعته
 حيث قال : " فإذا عملت القصيدة فهذبها ونقحها ، بالقاء ما غث من أبياتها ،
 ورث وزل ، والاقتصار على ما حسن وفخم ، بابدال حرف منها بآخر أجود منه
 حتى تستوى أجزاؤها ، وتتضارع هوائها وأعجازها ، ٠٠٠٠٠ " وقد كان

(١) الجاحظ : البيان والبيان — ج ٢ : ص ٨

(٢) المصدر السابق : ج ٢ : ص ١٤

(٣) ابن رشيق : الممد — ج ١ : ص ٨٠ وانظر قصة مدحه مفصلة في
 ذلك .

هذا دأب جماعة من حذاق الشعر من المحدثين والقدماء^(١).

والصنعة ينبغي فيها ألا تتعدى قدرة الشاعر إلى حد الإفراط فيها ، فقد كان إلى جانب الصنعة المحمودة في الشعر صنعة أخرى أفرطت في تعقيده ، ومالت به إلى الإغراق في الاستعارات واستجلاب اللفاظ قسرا ، وقد عييت هذه الصنعة وسقط شعر متعلمها في أكثر فروعها " صالح بن عبد القدوس وغيره ممن سلك هذا السبيل " لأن لكل شيء حدا إذا تجاوزه المتجاوز سمى مفرطا^(٢).

وكانت بداية ذم الصنعة على يد أبي تمام الذي أغرق في الاستعارات فأنخذ لنفسه مذهبا جديدا في الشعر العربي ، فأخذ أولئك الذين يميلون إلى هذه الصنعة " يفضلون كل ما قاله أبو تمام "^(٣).

وقد تطور التعامل في شعر المحدثين لانهم لما " رأوا استغراب الناس للبديع على اقتنائهم فيه أو لمعوا بتورده ، اظهروا للاقتدار وذهابا إلى الضراب^(٤) ".

وعلى هذا الأساس نشأ التفريق بين نوعين من الشعراء : شعراء الروية — الذين قوّموا شعرهم ، وأعادوا فيه النظر ، وأخرجوه مستويا محكما ، ورأوا — " أن أحسن الشعر ما كان أكثر صنعة وألطف تسملا ، وأن يتخير اللفاظ الرشيقة للمعاني البديعة والقوافي الواقعة "^(٥).

-
- (١) المسكوى . الصناعين . ع ١٣٩ — ١٤١
 (٢) الأمدى . الموازنة بين الطائيين . (مصر ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م) ج ١
 ع ٢٤٣ . (٣) المصدر السابق . ج ١ : ع ٤٩٦ .
 (٤) المرزوقي . الحماسة . (مصر ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م) ج ١ : ع ٢٣ .
 (٥) الباقلائي . اعجاز القرآن . ع ١١٥

الذين

وشعراء التمثل والبيان بالاشياء قسرا واختاروا ما غرض معناه وغرب لفظه
 واعرضوا عن " ما سهل على اللسان وسبق الى البيان " (١) ومن هنا نشأ
 التفريق بين شعر الطبع وشعر الصنعة ، وأدرك النقاد أبعاد هذين
 المذهبين ، وقد بين المرزوقي الفرق بينهما فقال : " فمضى رفض التكلف
 والتحمل وخلق الطبع المذهب بالرواية ، المدرب في الدراسة لاختياره
 فاسترسل غير محمول عليه ولا ممنوع مما يميل اليه ، أدى من لطافة
 المعنى ، وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر ، وعفوا بلا جهد ، فذلك
 هو الذى يسمى " المطبوع " (٢) فالطبع عنده ما اجتمع فيه الطبع
 والصنعة وهذا هو الوضع المثالى للشعر المختار ، أما اذا كانت هناك
 صنعة بلا طبع فهذا هو التكلف الردى ، واذا كان هناك طبع بلا صنعة
 فهو الكلام الذى لا يظهر فيه اثر الصنعة " (٣) ومضى جعل زمام الاختيار
 بيد التمثل والتكلف عاد الطبع مستخدما مطلقا ، وأقبلت الافكار تتجملسه
 أثقالها وتردده فى قبول ما يؤديه اليها ، مطالبة له بالاغراب فى الصنعة
 وتجاوز المؤلف الى البدعة فجاء مؤداه وأثر التكلف يلوح على صفحاته
 وذلك هو " المصنوع " (٣) ومن هذا المنطلق نرى الشعراء عند ابن قتيبة
 شاعرين ، شاعرا مطبوعا ، وآخر متكلفا ، وعلى هذا الاساس ففى
 التقسيم يصبح عنده شعر مطبوع ، وشعر متكلف وهو الذى ينتقى ويختار
 فالشاعر المتكلف عنده ، ما اجتمع له الطبع والصنعة على السواء " وهو
 الذى قوم شعره بالثقاف ، ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بمد

(١) الباقلانى : اعجاز القرآن : ص ١١٤

(٢) المرزوقي : الحماسة ج ١ : ص ١٢

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٣

النظر كزهير والحطيئة ٠٠٠ وكان زهير يسمى كبر قصائد الحوليات^(١)

فقد استخدم التكلفة فيما يقابل الطبع ، فالتكلفة عنده بمنى
الصنعة ، وقد فهم بعض الدارسين المحدثين ان ابن قتيبة قد خلط بين
معنى الصنعة والتكلفة : ، منهم الدكتور عز الدين اسماعيل الذى يقول :
وقد يخلط ابن قتيبة بين الصنعة^{معنى} والتكلفة^(٢) ، وابن قتيبة لم يخلط بين
معنى الصنعة والتكلفة كما فهم هؤلاء الدارسون فهو لم يجب على زهير
والحطيئة وأشباههما قياهم على الشعر وتنقيحهم اياه ، لأنه لم يستردل
شعرهم ، ولا نظر اليهم على أنهم أقل مرتبة من الشعراء المطبوعين ، فالتكلفة
عنده معناه الصنعة المحمودة فى الشعر ، وهذا ما عناه ابن قتيبة فى
قوله السابق^(٣) .

أما التكلفة الذى يأتى بالشيء قسرا فهو المذموم المستكره الذى
تتبع عليه أثر العمل الردى ، وهو " ما يزل بصاحبه من طول التفكير
وشدة المناء ، ورشح الجبين ، وكثرة الضرورات وحذف ما بالممانى
حاجة اليه ، وزيادة ما بالممانى غنى عنه . كقول الفرزدق فى عمر بن هبيرة
لبعض الخلفاء .

-
- (١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ج ١ : ص ٧٨ .
(٢) الاسس الجمالية فى النقد العربى " القاهرة ١٩٦٨ م " ص ١٤٧ ومن
الذين فهموا هذا الفهم . د . احمد احمد بدوى : اسس النقد
الادبى عند العرب : ٤٨٤ وما بعدها . د . محمد مندور : النقد
المنهجي (القاهرة ١٩٤٨ م) ط ٤ وطه احمد ابراهيم : تاريخ النقد
العربى ص ١٢٦ - ١٢٧ .
(٣) استعمل الجاحظ لفظ التكلفة بمعنى الصنعة المحمودة فى الشعر وانتقد
الاصمعى الذى عاب شعر الحطيئة " حين وجده كله متخيلا مستويا لمكان
الصنعة والتكلفة والقيام عليه " (الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٢٢٩)

أوليت العراق ورافدييه * فزاريا أخذ يد القميص

يريد : أوليتها خفيف اليد يعنى فى الخيانة فاضطرته القافية الى
ذكر القميص (ورافداه : دجلة والفرات)^(١) وهذا هو التصل السردى
البعيد عن الصنعة المحمودة ، لانه لم يأت عن اسطح وسهولة ، ثم هو
لم يكف بهذا القدر من وصفه للشعر المزدول وانما يذكر سمة أخرى لـه
» بأن ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره . وضموما الى غير لفظه ، ولذلك
قال عمرو بن لجأ لبمض الشمراء : أنا أشمر منك . قال : وم ذلك ؟
فقال : لاني أقول البيت وأخاه ، ولانك تقول البيت وابن عمه^(٢) .

فالمنية بمقارنة الإبيات القرية المعنى بعضها الى بعض كان من اهتمام
كثير من النقاد ، فدعوا الى مقارنة البيت بشبهه ، وأنكروا إبيات القصيدة
التي تفقد الوحدة والعرايط ، وغير ذلك من وجوه الصنعة ، ومثل
هذا يعنى أن الصنعة ضرورية لجودة الشعر ، ومثل هذا لا يكون الا بطول
النظر وجودة التنقيح .

وما تقدم نجد أن ابن قتيبة استخدم لفظة " التكلف " فى معنيين ،
فاقتربها بالشاعر جمل لها مدلولاً خاصاً اذا استخدمها بمعنى الصنعة
وطول الروية والآفة ، وهذا اتجاه مختار فى الشعر ، وقد مثل لذلك بشعر

(١) ابن قتيبة : الشعر والشمراء . ج ١ : ص ٨٨ . وفى ديوان الفرزدق
" أطمعت العراق ... الخ "

" ديوان الفرزدق " . بيروت ١٣٨٠ - ١٩٦٠ م . ج ١ : ص ٣٨٩

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٩٠

زهير والحطيئة القائم على الصناعة وطول النظر • وعندما اقترنت
بالشعر أعطت معنى آخر حيث وصف الشعر المتكلف بأنه ردى الصنعة
فقد تكلف الشاعر فيه مكابدة وعناء ، فخرج به من سهل الكلام المألوف
الى التعقيد المزدول • وقد ضرب مثالا على رداءة الصنعة بقول
الخليل بن احمد :

ان الخليط تصدع * فطر بدائكك أوقع
لولا جوارحسان * حور الطامع أروع
أم البنين وأسما * والرباب وسوزع
لقلت للراحل ارحل ** اذا بدا لك أودع (١)

فهو هنا يشرح المتكلف بطريقة تبين أنه يقصد بالكلمة المعنى الذى عرفت
به فى البلاغة وهو التمثل الردى اذ يقول : " وهذا الشعر بين المتكلف
ردى الصنعة " (٢) اذ المقصود من الشعر الابانه ، وتحريك النفوس ، ومن
هنا لا بد أن يتضح فيه حسن الصنعة ليحرك السامعين • وأن يتمدد
عن اجتلاب الالفاظ الفخسة المستكرهة • أما التأنيق فى طلب العبارات لغاية
البداع فهذا ما لا ينكره الذوق لان حسن التأليف يقع من النفس أحسن موقع •

أما الشاعر المطبوع : فهو الذى ينظم على السليقة مع قدرته على الارتجال
وسرعة الخاطر التى قد تختلف من شاعر الى آخر بحسب الذوايق والبواعث
التي تحفز للنظم " فقد يكون من الناس من شعره فى البديهة أحسن منه

(١) ابن قتيبة • الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٧٠

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٧٠ •

في الروية والمكس^(١) . " فالمطبوع لا يتكلف الشعر تكلفا يبعده عما اراد ،
ولا يتمب فيه بكد خاطر ، وانما يأتي عنده عن اسماح وسهولة دون اعداد
له فيجمل من صدر بيته ما يدل على عجزه ، ورأوا من سماته انه " من سمح
بالشعر واقتدر على القوافي ، وأراك في صدر بيته عجزه ، وفي فاتحته ،
قافيته ، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغريزة ، واذا امتحن لم
يتلمش ولم يتزحسر " .^(٢)

وتختلف نظرة ابن قتيبة النقدية الى الطبع عنها الى الصنعة ، فهو يفتقر
في شعر الطبع ما لا يفتقره في شعر الصنعة ، ولذلك اتخذ من الارتجال
عذرا للشاعر اذا ما أخطأ ، لانه لم يعد نفسه قبل أن يشرع في القبول
وقد التمس من ذلك عذرا للحارث بن حلزة في معلقته التي ارتجلها والتقى أقوى
فيها حيث قال : " ولن يضر ذلك في هذه القسيمة لانه ارتجلها فكانت
كالخطبة " .^(٣) وهذا لا يعنى ان الشاعر المطبوع ينظم كيفما اتفق ، وقس
أى وقت اراد ، وقد ادرك ابن قتيبة ذلك وتنبه الى اختلاف الشعراء فقس
الطبع وفقا لطبائهم . فالطبع الشعرى فردى يختلف من شاعر لشاعر ،

(١) أسامة بن منقذ . البديع في نقد الشعر . (مصر ٢٣٨٠ / ١٩٦٠ م)
ص ٢٩٦ . قوله : " والمكس " موضع نظر : فالمعروف عن الروية
والانابة في الشعر أن يخرج الشعر جيدا مستويا محكما .
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٠ .
(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٩٨ .

لان الفنان يختلف فى ميوله تبعاً لطبعه ومزاجه ، كما أن السلوك الشخصى للشاعر قد لا يؤثر على منجاءه فى الشعر ، فقد يكون شاعراً متحسلاً لا يحسن القول فى الغزل ، وقد نجس المكنس . ومن الشعراء من يحسن القول فى غرض دون غرض ، كما أن منهم من تشدد عنايتهم بفرض واحد فيؤليه الشاعر اهتمامه حتى يبرز فيه وحتى تكون جميع الأغراض التى نظم فيها لا ترقى الى درجة الفن الذى اولاه اهتمامه فمعرفة به ، فمن الشعراء من برز فى شعر الحرب مثلاً كمتنرة ومنهم من جعل الهجاء همه ووكد كالحطيطه كما اشتدت عناية البحتري بالأوصاف ونهج المتنبي نهج زهير فى الامثال .

فأساليب الشعر والاجادة فيه تتنوع بحسب مسالك الشعراء فى كل طريقة من طرقه ، ولا يقتصر هذا الاختلاف على الشعراء فحسب بل أن الشعر نفسه يختلف ايضاً بحسب اختلاف طرقه ، فهناك أغراض تحتاج الى الجزالة والمثانة فى الطريقه وغيرها يحتاج الى الرقة والسلاسة وما الى ذلك ، كما أن للبيئة أثرها فى ذلك فقد يستطيع البدوى الذى يسكن الصحراء أن يصف ما تقع عليه عينه من المياه الجارية والبل ، وحالة التنقل ، ووصف الديار ، فيكون شعره صورة صادقة للحياة التى يحياها ، ثم انسيجد مماناة حينما يأتى ليتغنى بأشياء لم يألها من قبل وقد لا يوفيهها حقها . والشعر ايضاً يخضع لظروف وأحوال قائله فمنهم من يحسن القول فى الفخر ولا يحسن فى الاستجداء وقد يكون المكنس . وهكذا يبدو لنا أن هناك تحكماً من جانب الطبع فى الشاعر . " فمنهم من يسهل عليه المديح ويمسر عليه الهجاء ومنهم من يتيسر له المراثى ويتعذر عليه الغزل " . وقد ضرب ابن قتيبة على ذلك

مثالا من أروع الأمثلة على نقده النظرى " فهذا ذو الرمة أحسن الناس تشبيها ، وأجودهم تشبيها ، وأصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وما ، وقراد وحية فاذا صار الى المديح ، والهجاء خانه الطبع . وذاك آخره عن الفحول فقالوا : فى شعره أبحار غزلان ونقط عروسى : وكان الفرزدق زير نساء صاحب غزل ، وكان مع ذلك لا يجيد التشبيب ، وكان جرير عفيفا غرهاء عن النساء ، وهو مع ذلك أحسن الناس تشبيها ، وكان الفرزدق يقول : ما أحوجه مع غفته الى صلابة شعرى وما أحوجنى الى رقة شعره (١) لما ترون .

لقد تحدث ابن قتيبة عن امارات الشعر المتكلف ، ولم يتطرق لأمارات الشعر المطبوع لان ميادين الطبع كثيرة ومتنوعة لكنه أورد بعض السمات العامة للشعر المطبوع فى حديثه عن الشعراء المطبوعين ، فهو الذى صدر عن اسماح وسهولة ، وأفاد الإبانة وكان قريب المأخذ بحيث يكون بين الالفاظ تقارب يبين ارتباط بعضها ببعض مع الترتيب المحكم ليزيد الكلام بيانا وحسن دىاجة واستدلالا بأوله على آخره ، وان تكون العبارات جزلة مستمدة ذات طلاوة تتبين عليها . رونق الطبع ووشى الفريضة .

لقد عالج ابن قتيبة نظرية لها قيمتها النقدية لانها تتصل بالروح والشعور ففرق بين نوعين من الشعراء : هما شعراء الصنعة وشعراء الطبع ، كما فرق بين نوعين من الشعر : هما الشعر المتكلف والشعر المطبوع ، ولقد كان مجيدا فى نقده النظرى حينما عالج نظرية الطبع والصنعة وقد حاول أن يطبق

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ : ص ٩٤ .

لنظرته النقدية التي اوضحناها فما لبذ به ذوقه واختياره الى أن يورد أكثر من شاهد ولنا على انعدام الذوق في نقده التطبيقى ، وهذا لا ينفى أن يكون له نقد جيد ، فقد كانت له اختيارات موفقه في كثير من المواطن الاستشهاديه ذكرناها له في مواضعها ، الا أن من تلك الشواهد التي تبين لنا أن نقده العملى ردى تلك الإبيات الرديئة التي استشهد بها على المطبوع من الشعر ، وهى ابيات لابن مطير لم تتضمن تلك الصفات التي عددها للمطبوع من الشعر. فمن ملاحظاتنا على هذه القصيدة : أن الشاعر لم يصف المطرب بدافع منه وإنما طلب اليه ذلك ، وقد يكون غير متبهي* أولم تكمل عنده الدوافع التي تحفزه على قول الشعر حينذاك بل أراد أن يلبي طلب الوالى ، وقد يكون الفرق واضحا بين من ينظم الشعر على الهاجس وبين من يطلب اليه قول الشعر ، لأن الأخير قد يضطره الامر الى التكلف البعيد وذلك يخرج به هذا التكلف عن رونق الطبع ووشى الفريزة* واننى أورد الإبيات كاملة لتبين ما فيها من تكرير للحرف الواحد في البيت الواحد مما يثقل كاهل الشعر ، وتمجسه النفس ولا تستريح لسماعه الاذن ، وعلى هذا فهو لم يصدر عن ذلك الطبع الذى تحدث عنه ابن قتيبة ، وهو الاقتدار على القوافى ، وأن يجعل من صدر بيته ما يدل على مقصده مع توضيح الفكرة التي يتحدث عنها الشاعر . لقد اتعب الشاعر فكره فتكلف فى توليد الصور النابية ومع ذلك يصفه ابن قتيبة بأنه " كثير الوش لطيف المعانى " أما الأبيات التي أوردناها فهى :-

- | | |
|------------------------------|--|
| كثرت لكثرة قطره أطباءه * | فاذا تحلب قاضت الأطباء |
| وكجوف ضرته التي في جوفه * | جوف السماء سبحلة جوفاء |
| وله رباب هيدب لرفيفه * | قبل التبعق ديمة وطفاء |
| وكان بارقه حريق يلتقى * | ريح عليهم ورفج — والألاء |
| وكان ريقه ولما يحثفل * | ودق السماء عجاجة كدرا |
| مستضحك بلوامع مستمير * | بمدامع لم تمرها الأقنعا |
| فله بلا حزن ولا بمسرة * | ضحك يؤلف بينهم وكاء |
| حيران متبع صباه تقوده * | وجنوه كف لهو وعاء |
| ودنت له نكايه حتى اذا * | من طول ما لعبت به النكباء |
| ذاب السحاب فهو بحركله * | وعلى البحور من السحاب سما |
| ثقلت كلاله فنهرت أصلابه * | وتبعجت من مائه الأحشاء |
| غدق ينتج بالاباطح فرقا * | تلد السيول ومالها أسلا |
| غر محجلة دوالح ضمنت * | حمل اللقاح وكلها عذرا |
| سحم فهن اذا كظمن فواحم * | سود وهن اذا ضحكن وضاء |
| لو كان من لجج السواحل ماؤه * | لم يبق من لجج السواحل ماء ^(١) |

من ذلك نرى أن الاستمارات مع كثرتها وطفيانها على القصيدة غير لائقة لما استميرت لهو التشبيهات متكلفة حتى لتجد غثاء ينفر منها الذوق اذ القصد من الشعر تحريك النفوس ، وبلوغ القصد عن طريق أخذ المعقوف من المعانى وترتيب الالفاظ وتجانسها مع بعضها البعض مع عدم الاغراق في الوصف الذى

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٠ ج ١ : ص ٩١ - ٩٢ .

يسمح الشعر ونقمه يذهب بطلاوته . وإذا كان الحرص قائما على استجادة الجمهور للكلام فإن ابن قتيبة باستشهاده المتقدم لم يراع ذلك الحرص وإنما جعل الاستسلام للخواطر الأولى سواء أدت مهمتها الفنية أم قصرت عن أدائها . فهذا الشعر كما ترى لم يكلف صاحبه مؤونة الكد في تثقيفه وتقويمه لأنه ارتجله فهو وليد الساعة ولم ترسم عليه علامات الطبع لأنه لم يأت مهذبا نقيا ولو أنه استشهد مثلا بقصيدة الحارث بن حلزة اليشكري :
(١)
آذنتنا ببينها أسماء * رب ثا ويمل منه الشواء .
(٢)

والتي ارتجلها بين يدي عمرو بن هند ارتجالا لطبق المفصل ، لأن المسببات والبواعث متوفرة لدى الشاعر ، فجاءت قصيدته حسنة مستعذبة لأنها صدرت عن سليقة فياضة ومدافع فردى صادرة عن الشاعر نفسه ، فأنت الفاظه متتابعة في سهولة ويسر وتدفق فصدر شعره عن فطرة واسماح .
لقد بين ابن قتيبة أمارات الشعر المتكلف فأجاد ، وكانت خطوته في ذلك موفقه تدل على قدرته الأدبية وسعقله ، وجعل تلك الأمارات واضحة يعرضها كل من له علاقة بصناعة الشعر كما أصاب في بيان خصائص الشعر المطبوع ولكنّه عندما أراد أن يطبق لنقده ومفهومه للشعر المطبوع أخطأ التوفيق ولم يحالفه الحظ فلقد كانت ثقافته واسعه تؤهله لأن يتصدى لقضايا النقد الأدبي إلا أن ذوقه أحيانا لا يؤهله لذلك كما بينا ذلك في نقده التطبيقى حينما تصدى لنظرية المتكلف والمطبوع من الشعر .

(١) هناك استشهادات كثيرة لخصائص الشعر المطبوع ، وإنما اقتصرنا على قصيدة الحارث بن حلزة لأنها تمثل ما أراده ابن قتيبة من الشعر المطبوع الذي يأتي على البديهة بسرعة الخاطر .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ : ص ١٩٧ .

الفصل السادس

=====

موقف ابن قتيبة

من القديم والحديث

=====

من القضايا النقدية الهامة التي شغلت أفكار النقاد القدماء زمنًا طويلاً قضية القديم والحديث في الشعر ، وقد اختلف أولئك النقاد في تحديد فترة كل منهما ، كما اختلفت مواقفهم بالنسبة لكل منهما . فيحضرهم نظر إلى القديم على أنه الشعر الجاهلي ولذلك لم يرقه أن يستشهد بببيت إسلامي ، كما فعل أبو عمرو بن الملاء الذي قال عندما سئل عن شعر الأخطل : " لو أدرك يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً وكان يرى الفرزدق وجريراً كان يراها وأشباههما من المحدثين فيعرض عن شعرهم مع إقراره بوجودته " (١) ويقول الاعمش : " جلست إلى أبي عمرو بن الملاء عشر سنين فما رأيته يحتج بببيت إسلامي " (٢)

أما ابن الأعرابي فقد عرض عليه أرجوزة لأبي تمام على أنها لبعض شعراء العرب الأقدمين :

وعاذل عدلته في عدله * فظن أني جاهل من جهله

فقال : " هذا هو الديباج الخسرواني ، فقيل له : أنها لأبي تمام ، فقال على الفور : من أجل هذا أرى عليها أثر الكلفة " (٣) وكان يقول :

(١) على العماري : الصراع الأدبي بين القديم والجديد مصر ١٣٨٤هـ ٧٦

١٩٦٥م

(٢) المصدر السابق : ص ٧٦

(٣) المصدر السابق : ص ٧٧

" انما اشعار هؤلاء المحدثين - مثل أبي نواس وغيره - مثل الريحان
 يشم يوما ويدوى فيوس به ، واشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما
 حركته ازداد طيباً " (١) فهو يشير الى أن ابا نواس يمثل مذهب المجددين
 في الشعر ، وضرب الاصمعي في هذه القضية بسهم فقد كان يقول : " بشار
 خاتمة الشعراء والله لولأن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم " (٢)
 انفضيلة للزمن ، وقد كان ذلك دأب الرواة للخويين ، فاذا ما مضينا
 الى ابن قتيبة رأيناه يشير الى أن القديم هو ما سبق زمن الناقد أيا كان
 والحديث هو ما قيل في عصره ، أو قريبا منه يقول : " فاني رأيت من علمائنا
 من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر
 الرصين ولا يعيب له عنده الا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله " (٣) ثم يقول :
 " وجعل " الله " كل قديم حديثا في عصره ، وكل شرف خارجية في
 أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يهدون محدثين ... ثم
 صار هؤلاء قدما عندنا ببعد العهد منهم وكذلك يكون من بعدهم
 لمن بعدنا ، كالخريص ، والمتأبى ، والحسن بن هاني ، وأشباههم " (٤) وقد
 نجد تحديد هذه المدرسة بعهد بشار عند رجل متأخر عن ابن قتيبة
 وهو الصولي حيث يقول : " ان الفاظ المحدثين منذ عهد بشار الى وقتنا
 هذا كالمتقلبة الى معان أبدع " (٥) على أن هذه المدرسة البيانية التي تفننت
 في البديع بدأت ببشار الذي كان يعد رأسا لها ، وكان من ابرز رجالها

-
- (١) المرزباني : الموشع : ص ٢٢٣ .
 (٢) على العماري : الصراع الادنى بين القديم والجديد : ص ٧٧ .
 (٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٦٢ - ٦٣ .
 (٤) المصدر السابق : ج ١ : ص ٦٣ .
 (٥) الصولي : اخبار أبي تمام (القاهرة ١٣٥٦ هـ - ص ١٦)
 ١٩٣٧ م

ابن هرمة والعتابي ، ومنصور النمرى ، وأبو نواس ، ومسلم بن الوليد ، وأبو تمام ، وكانت موضع انتقاص أمام انصار القديم .

وقد رأى كثير من الباحثين المحدثين فى النقد ان فى موقف الرواة واللغويين تعصبا للقديم ، واستشهدوا على ذلك باعراضهم عن شعر ابى دؤاد وهدي بن زيد التميمي ، واعراض ابى عمرو خاصة عن شعر الشعراء الاسلاميين ، يقول العماري : " وأول حرب علمناها على الجديد فى الادب العربى هى اعراض الرواة عن رواية شعر ابى دؤاد الايادى وشعر عدي ابن زيد التميمي لمخالفتها — كما زعموا — مذاهب الشعراء " (١) . ولذلك يبدو لأول وهلة أن موقف الرواة واللغويين فى هذه الخصومة يوحى بالانصب للقديم ، غير أننا اذا انعمنا النظر فى موقفهم ذاك رأينا أن الفرض منه موافقة اللغة فقط ، وقد بين ابن رشيق أن موقفهم لم يكن لشيء " إلا لحاجتهم فى الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون " (٢) .

ثم يذكر الدكتور عز الدين اسماعيل السبب نفسى يقول : " وقد يكون تفضيل القديم قد جاء من وجهة نظر لغوية يحد . هى ان اسلم اللغة (٣) ما تكلم به القدماء " .

فالمصر الاموى وصدر العصر العباسى لم يشهدا صراعا بين القديم والجديد .

فكل ما هنالك أن الرواة فى دراستهم للغة احتجوا بالقديم ، ولم يحتجوا

(١) على العماري : الصراع الادبى بين القديم والجديد : ص ٢٥

(٢) ابن رشيق : الممددة : ج ١ : ص ٩١

(٣) د . عز الدين اسماعيل : الأسس الجمالية فى النقد العربى ص ١٩٠

بالحديث لدخول غير العرب في العرب فظن هؤلاء الباحثون أن ذلك
تمصبا للقديم .

فالصراع بين القديم والجديد إنما كان في العصر العباسي ، فقد
سأير الشعر العربي الحياة الجديدة ، وأخذ الشعراء يصورون الحياة
الحضرية المترفة ، مع تطويرهم للاغراض الشعرية التي طرقها القدماء بما
يتلاءم مع الحياة الجديدة . فما هي إذن مظاهر التطور والتجديد في
الشعر العباسي ؟ . لا شك أن الشعراء في هذا العصر أبدعوا في الحدود
التي رسمها القدماء ، وصوروا الحياة الجديدة احسن تصوير ، فقد
وسعت آفاقهم الثقافات الاجنبية ، فكان هذا العصر يحق ، عصر الحضارة
والثقافة ، والترجمة ، استجاب الادب العربي فيه لمطالب المجتمع الجديد
بسبب اتساع الحضارة الاسلامية ، ومن ثم اتسم شعرهم بركة العبارة ، وتمييز
المعاني ، والبعد عن السطحية ، فقد " قام على صناعة الشعر أمشاج من
العرب والموانى ، فكان طبيعيا أن تتطور صورته ، وأن تختلف عن صورة الشعر
القديم ، الذي كان يستمد من علاقات البادية وصلاتها الحسية والمعنوية ."
فأخذوا يزخرفون الصياغة ، ويمعنون في الاستمارة ، وهذا مذهب جديد
في الشعر العربي ، ولم يقف التجديد عند حد الصياغة ، بل تمداهما
الى محاولات اخرى تتصل بأغراض الشعر وأوزانه " فاهتدى بشارا إلى
أوزان جديدة نظم منها نظرفا " (٢) ولعل أبا المثناهيه اقرب المحدثين

(١) د . شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي (مصر / ١٩٦٩) ص ٩١

(٢) طه احمد ابراهيم : تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ٩٩ .

الى هذا الاتجاه " وكان لسرعته وسهولة الشعر عليه ، ربما قال شعرا
موزوناً يخرج به عن اعراض الشعر واوزان العرب ^(١) هذا بعض
ما وصل اليه المحدثون من تطوير في الشعر العربي ، وقد رأى المحافظون
من هذا التطوير أن المحدثين قد انحرفوا في صناعتهم عن التقاليد
الشعرية التي ورثوها عن القدماء ، فالقدماء والمحدثون متعاصرون ، —
وهم من الأدباء وليسوا من النقّاد ، ومنذ ذلك الحين صار للشعراء
مذهبان • المذهب الأول وهو مذهب طائفة المحافظين الذين احتذوا
القدماء في منهجهم ، محاولين التمسك بما سقى فيما بعد بعمود الشعر
فمن " بنى شعره عليها فهو عندهم المفلح المعظم ، والمحسن المقدم " ^(٢) —
والمذهب الآخر وهو مذهب المحدثين الذين انحرفوا " في صناعتهم
عما يقتضيه عمود الشعر من اصول " ^(٣) وكان ذلك بطبعه مدعاة لى اختلاف
النقاد تبعا لذلك ، فأخذوا ينظرون في المذهبين الشعريين أيهما
يفضل الآخر ؟ فاحتدمت الخصومة بين موقف المحافظين ومذهب
المجددين ، وأصبح لكل منهما انصاره الذين يدافعون عنه •

وقد تناول ابو نواس جانبا من جوانب هذه الخصومة ، فحاول أن يصرف
الشعراء عن المطالع القديمة للقصيدة العربية التي كانت ظاهرة عامسة
في شعر الجاهليين والاسلاميين ومحاولته استبدال تلك الدياجة الطليية
بأخرى تناسب الحياة الحاضرة في عصره ، فانقسم الناس ازاها بين مؤيد

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ٢ : ص ٧٩١ •

(٢) المرزوقي : الحماسة ج ١ : ص ١١ •

(٣) د • محمد فنيح هلال : النقد الادبي الحديث (القاهرة ١٩٦٤م —
ص ١٧٨ •

لهذه الظاهرة على أنها دعوة الى الأصالة فى الانتاج الفنى ، لأن —
المطالع التقليدي للقصة المربية لا تعب عن مشاعر المحدثين ولا عواطفهم
تعبيرا صادقا ، وأن طرق القدماء ومناحيهم لا تنهض الان بتصوير الحياة
التي يحياها الشعراء فى العصر العباسى . وبين معارض يرى فى ذلك
تمصبا شعوبيا ضد العرب وسخرية من التقاليد الشعرية العربية . فحاولته
لم تكن ادبية خالصة ، وانما كانت شعوبية متمصبة على العرب هازئة بتقاليدهم
لانه لم يصنع شيئا فنيا فى دعوته . فالوقوف على الحانات بدلا من الوقوف على
الديار ليس تجديدا فى الطريقة الفنية ، واذا كان ابو نواس قد مال الى الخمر
ليجعلها دياجسة حضرية يفتح بها قصائده كما فى قوله :

(١) صفة الطلول بلاغة القدم * فاجعل صفاتك لابنه الكرم

فقد سبق الى هذه الدياجة منذ العصر الجاهلى ، فعمرو بن كلثوم الشاعر
الجاهلى بدأ معلقته بوصف الخمر حيث قال :

(٢) الالهى بصحنك فاصبحينا * ولا تبقى خمورا لاندرينا

وقد اخفقت تلك الحركة التي نادى بها ابو نواس " ولم تسته من الشعراء
الا نفرا يسيرا من الذين لا يمتون بنسب الى شبه جزيرة العرب ، وليس
لهم فيها ذكريات ولا رفات " (٣) وقد اخذ نقاد العرب المحافظون يدافعون
عن كل ما هو قديم وينظرون الى المجددين نظرة انتقاص فأقاموا بذلك نظريتهم
فى عمود الشعر التي تقوم على رعاية مجموعة من التقاليد الشعرية التي ورثوها
عن المصور الاولى للشعر — العصر الجاهلى ، وعصر صدر الاسلام ، والعصر

(١) الصولى : اخبار ابي تمام . ص ١٦
(٢) البغدادى . خزنة الأدب . " تصوير بيروتيدون تاريخ " ج ١ ص ٥١٧
(٣) طه احمد ابراهيم . تاريخ النقد الادبى عند العرب ص ٩٦

الأموى تقريبا — هذه التقاليد الشعرية التي دعوا إلى رعايتها ، مشها ما يرجع إلى اللفظ فتطلبوا فيه ، الجزالة والاستقامة ، والمشاكلة للمعنى وشدة اقتضائه للقافية . ومنها ما يرجع إلى المعنى الجزئى ، فكانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، والاصابة في الوصف ، أما فيما يتصل بالمعاني الجزئية واتصال بعضها ببعض ، فقد طلبوا المقارنة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم والتثامها ، ومناسبة المستعار من المستعار له . فهذه هي خصال عمود الشعر نظر اليها نظرة احترام ، فكان موقف المتمسكين بعمود الشعر موقفا تقليديا محافظا ، وقد رأى المحدثون في تلك التقاليد الموروثة عائقا يقف في طريق تطور الشعر العربى ، فاستمرت الخصومة بين المحافظين والمجددين محتدمة حتى القرن الثالث الذى أصبح النقد فيه متشعبا الجوانب متباين الاتجاهات وتأثرا بكل مظاهر العصر ، فكان هناك الاتجاه اللغوى الذى قام على خدمة اللغة واتجاه الادباء والشعراء الذين اهتموا بالحدث وأولوه عنايتكبيره ، والاتجاه الثالث الذى تأثر اصحابه بالتراث اليونانى وحاولوا أن يضموا حقايب ثابتة للنقد الادبى تعتمد التقنين والتفصيل ، والاتجاه الرابع المتمثل فى مذهب العلماء الذين جمعوا بين القديم والحديث فى اعتدال فقد اخذوا نصيبا كبيرا من التراث العربى قديمه وحديثه وتأثروا بالعلوم الاجنبية كالفلسفة والمنطق ، وقد ونا الأفكار النقدية التى وصلتهم من القدماء فى شئ من الترتيب والتنظيم ، ووضعوها فى أصول وقواعد ثم اضافوا اليها بعض النظرات النقدية الحديثة التى اهتموا اليها فجاء لهم ذوق خاص فى نقد الادب وكانوا معتدلين ففى

نظراتهم وفي احكامهم النقدية وقد نشأ هذا الاتجاه في خضم المعركة
التي دامتمنا طويلا قبل ابن قتيبة والتي دارت رحاها بين القديم
والحديث فلم يلب دورا في تحقيق المساواة بين الفريقين المتنازعين
حتى حقق هدفه ، وبدأ القديم والجديد يتساويان فيما يستحقانه من
استحسان واستهجان . الا ان اكثر الدارسين للنقد العربي يرون ان اول
من بدأ هذا المفهوم هو ابو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة يقول
الدكتور عز الدين اسماعيل : " بدأ القديم والجديد يتساويان أمام
اكثر نقاد القرن الثالث فيما يستأهلان من استحسان واستهجان ، ويبدو
هذا المفهوم الذي بدأه ابن قتيبة " (١) ويقول الدكتور محمد زغلول سلام
في حديثه عن النقاد الذين وقفوا موقفا وسطا من التراث يقول : " أولهم
ابن قتيبة وقف بين القدماء والمحدثين ، وحاول أن ينصر قضية الشمع
الحديث والشمع المحدثين بعد أن كان النقاد وعلماء اللغة ورواة الشعر
يغبطونهم حقهم " (٢) وقد فات هؤلاء الدارسين وغيرهم أن موقف ابن قتيبة
من القديم والجديد هو موقف ابرز نقاد القرن الثالث . فهي اذن فكرة
المصر التي تبلورت في الاذهان بدأها الجاحظ ونماها ابن قتيبة وأدلى
بدلوها فيها المبرد ، وسار على نهجهم بعد ذلك الجرجاني . فقد
اهتم الجاحظ بالشمع المحدث الى جانب احترامه للتراث القديم وحاول
في اعتدال وقصد أن يقف منهما موقفا توفيقيا ، فنراه حينما يتحدث عن شمع
ابي نواس يقول : " وان تأملت شمره فضلته الا أن تمتري عليك فيه العصبية

(١) د . عز الدين اسماعيل . الاسس الجمالية في النقد العربي : ص ١٩٢

(٢) د . محمد زغلول سلام . تاريخ النقد العربي (مصر ١٩٦٤م) ص ٢١٩

أو ترى أن أهل البدو أبدا أشعر وأن المولدين ^(١) لا يقاربونهم في شئ ؟
 فان اعترض هذا الباب عليك فانك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوها ^(٢) .
 ثم نراه يملن موقفه صراحة في قوله : " وقد رأيت أناسا " منهم " يسهرجون
 أشعار المولدين ، ويستسقطون من رواها ، ولم أر ذلك قط الا في رواية للشمر
 غير بصير بجوهر ما يروى ، ولو كان له بصير ، لعرف موضع الجيد من كان
 وفي أى زمن كان ^(٣) .

ونجد هذا الموقف العادل ايضا عند رجل كالبرد الذي عاصر ابن قتيبة
 فتأثر برجح المصراذ يقول : " وليس لقدم المهد يفضل القائل ، ولا لحدثان
 عهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما سيتحد ^(٤) " .

فالجاحظ والبرد يتفقان مع ابن قتيبة في هذا الموقف الا أن ابن قتيبة
 أبين منهما في التعبير وأكثر اسهابا ، لان موقفه يتمثل في الانتصاف للحديث
 من انصار القديم فكانت للمحدثين عنده رعاية فترجم لكثيرين منهم فحطهم
 بذلك القيود التقليدية المحافظة فهو في هذه القضية ناقد متفتح ، يتسم
 نقده بالموضوعية ، فاذا كان الجاحظ قد بدأ الفكرة ، فان ابن قتيبة كان له

(١) المولد : الشئ المحدث من كل شئ (انظر الفيروز ابادى . القاموس
 المحيط . ج ١ : ص ٣٦٠) . وقيل المولد في الاصل من ليس خالص
 المروية من جهة أمه وأبيه فلما كثر غير العرب في العصر العباسي اتسع
 الاصطلاح فأصبح المراد به كل شاعر أدرك الدولة العباسية ، ولو كان
 عربيا صميما ، لان من ضمهم هذا العصر من الشعراء تثقفوا ثقافة واحدة
 عربية كانت أم أعجمية .

(٢) الجاحظ . الحيوان : ج ٢ : ص ٢٧

(٣) الجاحظ . الحيوان : ج ٣ : ص ١٣٠

(٤) البرد : الكامل : ج ١ : ص ١٨

القول الفصل فيها ، فقد فحص القديم وعدل الاحكام الجائرة التي اصدرها
انصاره على المحدثين ، وكان شجاعا في هذا الاتجاه حيث بين كل جوانب
القضية وصادر حكمه العادل فيها ، وكان صائبا في ذلك الحكم لماذ يقول :
" ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا لمسبيل من قلد ، أو استحسنت
باستحسان غيره . ولا نظرت الى المتقدم منهم بمين الجلالة لتقدمة واليسى
المتأخر منهم بمين الاحتقار لتأخره . بل نظرت بمين العدل على الفريقين ،
واعطيت كلا حضه ، ووفرت عليه حقه . " ^(١) فقد كان مستقلا في ذوقه فلم
يخضع لتقاليد سابقه ، فبدأ يعيب على بعض علماء عصره استردادهم للشعر
المحدث الرصين لمجرد انه قيل في زمانهم ، أو أنهم رأوا قائله ، وهم
في ذلك لا يعتمدون اساسا فنيا يبنون عليه انكارهم للمحدث وتقديسهم
للقديم وهذا الموقف حدا بهم الى تقديم الشعر السخيف على الشعر الرصين
بفارق الزمن فهو يقول : " فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف
لتقدم قائله ويضعه في متخبره ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده
الا أنه قيل في زمانه ، أو أنه رأى قائله " ^(٢) فاللمسبحانه وتعالى " لم يقصر
العلم ، والشعر ، والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم
بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباد الله في كل دهر ، وجعل كل قديم
حديثا في عصره ، وكل شرف خارجية في أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل
وأمثالهم يعدون محدثين . . . ثم صار هو لا ، قدما عندنا ببعد المهد منهم
وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا ، كالخريص والعتابي ، والحسن بن هاني

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٦٢ :

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٦٢ - ٦٣ .

وأشباههم . فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له ، وأثنينا به عليه ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ، ولا حداثة سنه ، كما أن الردى إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه^(١) .

فالجودة عنده هي المقياس الذي يبقى عليه الحكم ، فمقى كان الشعر جيداً حسناً ذكره لصاحبه دون النظر إلى مكانته الزمنية أو الشخصية ، فخلع بذلك عن نفسه رداء المصيبة وتجرد عن الهوى ، فقد يكون للمحدث الشعر الرصين والمعنى الجيد كما يقول الصولى فى حديثه عن الشعراء المحدثين " . . . وقد وجدنا فى شعر هؤلاء - المحدثين - معانى لم يتكلم القدماء بها ومعانى أو ما وا إليها فأتى بها هؤلاء واحسنوا فيها^(٢) " .

وقد سار على منهج الممتدلين فى هذه القضية كثير من النقاد ممن أتى بعدهم لان الفكرة أصبحت واضحة أمامهم ، فعبد المميز الجرجاني يرى " - أن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكا ، ثم تكون الدراسة مادة له ، وقوة لكل واحد من اسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، ومقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ولست افضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلى والمخضرم والاعرابى والمولد^(٣) " ونظر الباقلانى للقديم والحديث نظراً موضوعية حيث قال : " طريقة الشعر شريعة مورودة ، ومنزلة مشهودة ، يأخذ

(١) ابن قتيبة ج ١ : ص ٦٣

(٢) الصولى : اخبار اربى تمام ص ١٧

(٣) على بن عبد العزيز الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه (مصر

سنة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م) ص ١٥

منها أصحابها على مقادير أسبابهم ، ويتناول منها ذروها على حسب —
 أحوالهم . وأنت تجد للمتقدم معنى قد طمسه المتأخر بما أبر عليه —
 فيه ، وتجد للمتأخر معنى قد أغلقه المتقدم ، وتجد معنى قد توافدا
 عليه وتوافيا إليه ، فهما في شريكة عنان ^(١) . ثم نجد ناقدا متأخرا عاش في
 نهاية القرن السابع الهجري يتحدث عن القضية ومعالجتها بنفس الفكرة
 التي عالجها بها ابن قتيبة ذلك الناقد هو حازم القرطاجني المتوفى
 سنة ٦٨٤ هـ . الذي يرى أن " من يذهب إلى تفضيل المتقدمين على
 المتأخرين بمجرد تقدم الزمان فليس ممن تجب مخاطبته في هذه الصناعة
 ، لانه قد يتأخر أهل زمان عن أهل زمان ثم يكونون أشعر منهم لكون زمانهم
 يحوش عليهم من اقتناص المعاني بسفوره لهم عن أشياء لم تكن في الزمان
 الاول ، ولتوفر البواعث فيه على القول وتفرغ الناس له " ^(٢)

من ذلك نرى أن النظرة في القديم والجديد أصبحت نظرة موضوعية
 وأن الحكم فيها أصبح واضحا لا غبار عليه ، وأن ابن قتيبة كان رائد
 الذين تعرضوا لها ، إلا أن الشئ الغريب الذي نجده عند ^(٣)
 أن تلك الخصومة أكثر ما قامت حول شاعرين مشهورين هما البحتري وأبو تمام .
 فالبحتري كان يمثل القديم لانه تمسك بقواعد عمود الشعر بينما كان أبو تمام
 يمثل حركة الحديث عندما أفرط في الاستعارات البعيدة ، فاتخذ لنفسه

(١) الباقلاني : اعجاز القرآن : ص ١٨٣

(٢) القرطاجني : منهاج اليلقا : وسراج الادباء : ص ٣٧٨

(٣) لم يورد ابن قتيبة للطائيين أشعارا في كتبه الادبية المتقدمة
 كتاب المعاني الكبير وكتاب الشعر والشعراء ، وكتاب ادب الكاتب
 غير انه في كتاب عيون الاخبار استشهد للبحتري في موضعين فقط
 (ج ١ : ص ٢٣٢ و ج ٣ : ص ٣٤) ولأبي تمام في اكثر من
 ثلاثين موضعا .

مذهباً جديداً في الشعر العربي ، وإن ابن قتيبة لم يتعرض لهذين -
الشاعرين في كتاب الشعر والشعراء ، وهذه المسألة تحتاج إلى أن نقف -
عندها لتبيين الأسباب التي جعلت ابن قتيبة يستبعدهما من كتابه ، مع
أن أبا تمام من شعراء المعاني ، وابن قتيبة يهيم المعنى كثيراً ، بينما
كان البحتري يشكو من طغيان المنطق على الشعر حيث يقول :

كلقتمونا حدود منطقكم * في الشعر يلغى عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمن * طق ما نوعه وما سببه
والشعر لمج تكف اشارته * وليس بالهز طولت خطبه (١)

وإن قتيبة يعيب على معاصريه توغلهم في المنطق لأنه رأى أن ارفع درجاً
لطيفهم " أن يطالع شيئاً من تقويم الكواكب وينظر في شيء من القضاء وحده
المنطق " (٢) كما عاب عليهم أنهم كانوا لا يحفلون بالشعر الذي سبقهم زمن
قائل بفترة قليلة أرواوا قائله فقد أصبح التقارب اذن واضحاً بين الشاعرين
وإن قتيبة ما يدعو إلى أن يترجم لهما بالإضافة إلى كونهما شاعرين مشهورين
ملأ الدنيا بشعرهما . فهل كانا متأخرين عن الشعراء الذين حفل بهم
وترجم لهم ؟ لقد توفي أبو تمام سنة ٢٣١ هـ بينما نجد أن ابن قتيبة
قد ترجم لدعبل الخزاعي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ أي بعد وفاة أبي تمام
بأربعة أعوام . أما البحتري فقد عاصر ابن قتيبة وتوفي بعده سنة ٢٨٤ هـ .

(١) البحتري . ديوانه : " مصر ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م (ص ٣٨)

(٢) ابن قتيبة : ادب الكاتب : ص ٣

قد يخيل الى أن موقفه هذا كان متعمدا . وربما كان ذلك راجعا الى أن الرأي في هذين الشاعرين لم يستقر بعد ، وأن اتجاهيهما كانا موضع أخذ ورد بين النقاد . وقد كان بعض النقاد وخاصة اللغويين منهم يخشى من السنة الشعراء اذا هو تعرض لشعرهم بالنقد . سئل أبو عبيدة " أى الرجلين أشعر أبو نواس أم ابن أبي عيينة فقال : أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء " (١) واستبعد ابن سلام شعراء عصره من كتابه " طبقات فحول الشعراء " فلم يترجم لهم ، وربما يكون ناقدنا لم يترجم للبحر الذي عاصره خشية من لسانه ، كما لم يترجم لأبي تمام الذي توفي قبل تصنيف كتاب الشعر والشعراء خشية من انصاره وأشباعه أن يتعرضوا لالسننتهم اذا هو ادلى برأى فيه لم ينضج بعد .

قد تبينا الآن نظرة ابن قتيبة التوفيقية في قضية القديم والجديد التي انصف فيها المحدثين " قائلا : ان شعرهم يجب الا يرد لمجرد أنهم محدثون فقاوم التيار السائد في عصره " . (٢)

وقد تعرض ابن قتيبة للوحدة الخارجية للقصيدة العربية وطلب الى الشعراء المحدثين الا يخرجوا على مذهب المتقدمين ، وقد كان ذلك مما دارت حوله الخصومة بين المجددين والقدماء . فالمعروف ان الشعراء الجاهلين كانوا في الغالب لا يهجمون على أغراضهم دون أن يمهّدوا لذلك بالوقوف على الأطلال فالقصائد الجاهلية تكاد تكون مشتركة في

(١) ابن رشيق : الممدد : ج ١ : ص ٧٦ .

(٢) الدكتور . سهير القلماوي . النقد الأدبي (طبعة دار المعرفة ١٩٥٩م ص ٣١)

هذا التمهيد ، " وهذا المنهج لابد أن يكون قد رسخ منذ زمن طويل وقد ذكر امرؤ القيس سلفا في الشكوى والبكاء على الاطلال يدعى ابن خدام . . . وتبع المتأخرون هذا المنهج ولم يكادوا يجسرون على تفسيره ^(١) فالوقوف على الديار تجربة تعرض لها كثيرون من شباب العرب في الجاهلية ، لانها تتمشى مع ظروفهم البيئية وحياتهم المعروفة بكثرة الترحال والتنقل من مكان الى آخر طلبا للماء والكلاء ، مما يتيح فرص الالتقاء والتعارف بين الشباب وقد يكون هذا الالتقاء بين شاب وفتاة تكون بينهما محبة والفة ثم لا يلبث هذا الالتقاء أن ينتهي الى الفراق فيكون ذلك مدعاة الى تذكر الديار وتلك اللقاءات ، فاذا ما كان صاحب التجربة شاعرا نفس عن لوعته بأبيات يذكر فيها تلك الديار وكانوا في ذلك صادقين يصفون ما جرت به المعادة في بيئتهم ، وما هو مألوف لديهم ، فهـم يبداءة مألوفة لدى الشاعر ومستتمية على السواء .

ولا شك ان استيقاظ الصبح والبكاء على الاطلال ووصل ذلك بالنسيب بداية صادقة للقصيدة المربية ، وقد ادت هذه البداية أغراضها الفنية على خير وجه عندما كانت تتصل بحياة قائلها .

الا أنه قد أصبح لتلك المقدمة وظيفة نفسية ، فقد اكتسبت شحنة عاطفية قوية اكتسبتها الثبات والاستقرار في النفس لأن ذكر الديار وأهلها والحديث عن الحب ونوازعها مما هو في طبيعة كل نفس ومحجب اليها تلذ لسماعه وتسكن

(١) بروكلمان . تاريخ الادب العربي . (مصر ١٩٦٨ م) ج ١ : ص ٦٠

الى ذكره وقد علق ابن قتيبة لذلك فقال : " قال ابو محمد : وسمعت
بعض اهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة انما ابتداء فيها يذكر الديار
والدمن ، فبكى وشكا وخاطب الربيع ، واستوقف الرفيق ، ليكمل ذلك
سببا لذكر أهلها الطاعنين عنها ، اذ كان نازلة العمدة في الحلول والظمن
على خلاف ما عليه نازلة المدر ، لانتقالهم من ماء الى ماء ، وانتجاعهم
الكلاء ، وتبهمهم مساقط الفيث حيث كان . ثم وصل ذلك بالنسيب ،
فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفطر الصباية والشوق ليميل نحوه القلوب
ويصرف اليه الوجوه ، وليستدعى به اصفاء الاسماع اليه ، لان التشبيب
قريب من النفوس لا يثبط بالقلوب - لما قد جعل الله في تركيب المبدأ
من محبة الفزل والف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون
متعلقا منه بسبب وضاريا فيه بسهم حلال أو حرام . فاذا علم أنه قد استوثق
من الاصفاء اليه والاستماع له فعب بايجاب الحقوق ، وفرحل في شمره
وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير ، وانضاء الراحلة
والهمير .

فاذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، وذمامة التأويل ، وقرر
عنده ما ناله من المكارة في المسير ، بدأ في المديح ، فبعثه على
المكافاة وهزه للسماح ، وفضله على الاشباه ، وصفر في قدره الجزيل .^(١) فان
ابن قتيبة في حديثه عن الوحدة الخارجية للقصيدة العربية انما جاء بتبرير
نفسى لان اجتماع هذه الاغراض في القصيدة يضمن عليها نوعا من الوحدة
الخارجية التي تتناسب وظروف الحياة الجاهلية .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٧٤ - ٧٥ .

وعلى هذا فقد نقل ابن قتيبة مذهب اصحاب عمود الشعر في القصيدة
 المربية واتخذ منه تقليدا دعى الى مراعاته ، ففهم بعض الدارسين للتقيد
 من ذلك أن ابن قتيبة جعل من ذلك نموذجا صالحا لكل شاعر في أى زمان ،
 فقد فهموا من قوله : " فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب وعدل بسين
 هذه الاقسام " (١) أنه ألزم المتأخرين هذا النظام ، وهو في حقيقته انما يدعو
 الى التناسب بين اجزاء القصيدة المربية . وأما قوله : " وليس لتأخر الشعراء
 أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الاقسام فيقف على منزل عامر ، أو يركس
 عند مشيد البنيان — لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافى .
 أو يرحل على حمار أو يفل ويصفهما لان المتقدمين رحلوا على الناقة والبصير .
 أو يرد على المياه المذاب الجوارى ، لان المتقدمين وردوا على الأ واجن الطوامى
 أو يقطع الى الممدوح منابت النرجس والآسى والورد ، لان المتقدمين جروا على
 قطع منابت الشيع والحنوة والمرارة " (٢) فهو لم يمنع الشعراء المتأخرين من
 التجديد وانما حظر عليهم التقليد الشكلي ، وذلك باستبدالهم الديباجة الطللية
 بأخرى تناسب الحياة المتمدنة ، لان هذا ليس تجديدًا في الطريقة الفنية . وكأنه
 يطلب من الشاعر الذي يريد أن يصعد لقصيدته بمقدمة طللية الا يخرج عن مذهب
 المتقدمين . اما اذا اراد الشاعر أن يجدد فيبدأ بتجربة صادقة فهذا ما لم
 يتنكر له ابن قتيبة وهو الذي تمثل موقفه في الانتصاف للشعر الحديث من انصار
 القديم .

وقد حاول بعض الشعراء المتأخرين أن يتحرروا من تلك المقدمة التقليدية
 وكانت لهم دوافع فنية خالصة ، فقد رأوا في تمسك سائر الشعراء بالبداية

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء ج ١ : ص ٧٥ — ٧٦ .

(٢) المصدر السابق . ج ١ : ص ٧٦ — ٧٧ .

الغزلية للقوائد منافاة للصدق يجب أن يبرأ منها الشعروكان من
هو لا المتنبى الذى افتتح بعض قصائده بقوله :
(١)

إذا كان مدح فالنسيب المقدم * أكل فصيح قال شعرا مثير

كما وصف المتنبى الخيل بدلا من الأبل فى مطالع بعض قصائده ، ورحل
بعض الشعراء الى مدحهم على أقدامهم ، وعلى أى حال فقد انتهت
الأمر بهذا التقليد الى الانهيار ، لمنافاته لروح العصور المتحضرة
التي كتب فيها الشعراء المحدثون فالبحترى وهو شاعر معروف بمحافظته
على عمود الشعر استبدل بوصف الناقة فى بعض قصائده وصف السفينة .

وأخيرا ذهب ابن رشيق الى تحرير مطلع القصيدة من كل تقليد
فللشاعر أن يبدأ قصيدته بتجربة صادقة ويقول مملا دعوته هذه " لا
سيما إذا كان المادح من سكان بلد المدح ، يراه فى أكثر أوقاته ، فما
أقبح ذكر الناقة والفلاة حينئذ " (٢) وكان هذا إذا نا باختفاء
المقدمة التقليدية للقصيدة العربية فى المدح ليمدها عن الحقيقة .

(١) المتنبى . ديوانه (مصر ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٨ م) شرح البرقوقى
ج ٤ : ص ٨٩ .

(٢) ابن رشيق . الممدح . ج ١ : ص ٢٣٠ .

الفصل السابع

موقف ابن قتيبة من السرقات الشعرية :

=====

السرقات الشعرية من القضايا النقدية الهامة التي تناولها النقاد بالبحث والدراسة حتى كادت تستأثر بكل جهودهم ، فتمسقوا في دراستها ، وأخذوا يحددون إبعادها ، وتوصلوا الى نتائج لتلك الدراسات ، فأرجعوا — بعض المعاني والتراكيب لأصحابها المخترعين لها ، وعرفوا أين وكيف تكون السرقة ومتى تفتقر للشاعر ، ومتى تعاب ، الى غير ذلك من المحو والتأليف التي تناولت أساليب الأخذ ، وأنواع السرقات ، فقد عرفوا أن لكل شاعر طريقته الخاصة به في النظم ، ومعجمه الذي يدور في فلكه ، فلم يحد يخفض عليهم سارق المعاني أو الالفاظ ، كما عرفوا أن هناك معاني مشتركة بين الشعراء يستقيها بعضهم من بعض ، دون أن يكون ذلك مميها ، فقد يتناول الشاعر معنى ما من المعاني التي طرقت قبله ، قد استقر في ذهنه ، نتيجة لاطلاعه على أساليب الشعراء ، وطرقهم ومنهجهم دون قصد منه لذلك المعنى وقد يعجب الشاعر بمعنى تناوله الشعراء قبله فيعمد الى أن يصوغه صياغة جديدة يجمع فيها أكثر من سابقه ، فقد كان الناس يستجيدون قول الأعشى :

وكأسى شربت على لذة * وأخرى تداومت منها بها

حتى قال : أبو نواس :

دع عنك لوى فان اللوم اغراء * وداؤنى بالتي كانت هى الداء (١)

فزاد في معناه وعرف له فضل الزيادة فيه .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٧٣ .

وقد اشترك الشعراء في معاني كثيرة ، استقاها بعضهم من بعض
ولا يعلم في الأرض شاعر مقدم في تشبيه مصيب تام ، وفي معنى غريب
عجيب أو في معنى شريف كريم ، أو في بديع مخترع ، إلا وكل من جاء من
الشعراء من بعده أو معه ، أن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه ، أو يدعيه
بأسره فانه لا يدع أن يستعين بالمعنى ، ويجعل نفسه شريكا فيه .^(١)

ولا شك أنه ليس للشاعر المتأخر غنى عن تناول معاني السابقين ، شريطة
الأن لا يفسد تلك المعاني ، أو يقصر فيها عن سبقه ، أو يأخذها بلفظها ،
إلا أن اعتماد الشاعر على السرقة ، يدل على بلادة حسه ، وضعف ملكته .
وقد توصل النقاد ، إلى أن هناك معاني قد تنكشف فيها السرقة ، وتحقق
وذلك عندما يكون المعنى المسروق مبتدعا ، ومعروفا لشاعر بعينه ، وأنه
أول من وقع عليه ، كقول الأعشى :

وأرى الغواني لا يواصلن امرأ * فقد الشباب وقد يصلن الأمردا
فهذا معنى مبتكر للأعشى ، جاء أبو تمام فطره حيث قال :

أحلى الرجال من النساء موقعا * من كان أشبههم بهن خدودا^(٢)
كما توصلوا إلى أن هناك معاني لم يستطع الشعراء سرقتها ، فبقيت لمبتكرها
دون أن ينازعهم فيها أحد ، كوصف عنترة للذباب ، وكقول زهير بن أبي
سلمى الذي لم ينازع فيه :

فان الحق مقطعة ثلاث * يمين أو نفار أو جلال^(٣)

-
- (١) الجاحظ . الحيوان : ج ٣ : ص ٣١١
(٢) طه أحمد إبراهيم . تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ص ١٧٢
(٣) انظر ذلك في قضية اللفظ والمعنى
(٤) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ١٤٠

على أن السرقة إنما تكون في المعاني دون الالفاظ ، لان الالفاظ
يكثر تداولها على السنة الشعراء ، فهي مشاعة بينهم .

وقد كان توارد القدماء على المعاني نادرا ، بحيث يستطيع الناقد
أن يحصى أكبر قدر ممكن مما أخذه بعض الشعراء من بعض ان لم يكن
جميعه . أما بالنسبة للشعراء المحدثين فقد كثر تواردهم على المعاني
حتى أصبح من الصعب استقصاء كل ما أخذه الشعراء المحدثون
من بعضهم البعض ، وقد حاول النقاد جاهدين في الكشف عن سرقات
المحدثين ، أما ليظهر الناقد سعة اطلاعه ، وأما تعمصا على بعض الشعراء
فأخذوا يعنون بابرار السرقات ، فكانت سرقات أبي تمام ، التي تناولها
أكثر نقاد القرنين الثالث والرابع ، وسرقات البحتري ، وأبي نواس ، وغيرهم .

ولما كانت السرقات الشعرية موضع اهتمام النقاد ، وأحدى قضايا
النقد الأدبي ، فقد تناولها ابن قتيبة بطريقة تختلف عن منهج
معاصريه وطرقهم في بحث تلك القضية فهو لم يعرضها في مقدمة كتاب
الشعر والشعراء كغيرها من القضايا النقدية الجديدة بالاهتمام ، وإنما
أشار إليها إشارة موجزة في حديثه عن الموضوعات التي ضمنها كتاب الشعر
والشعراء ، حيث قال : " هذا كتاب ألفته في الشعراء ، أخبرت فيه
عن الشعراء وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون " (١)

هذا كل ما قاله ابن قتيبة في مقدمة الكتاب عن قضية السرقات ، حتى
إذا أتى في ترجمته للشعراء ، بدأ يعرضها في ثنايا الكتاب عرضا

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٥٩

مقتضيا ، دل على مدى تقديره لكل معنى مبتكر لم يسيق اليه الشاعر
فذكر للشعراء ما سبقوا اليه من جديد المعاني ، وما أخذه عنهم من أتى
بعدهم . وذلك المعنى الى بداية السرقات ، حيث رأى أن هناك معانى
سبق اليها بعض الشعراء ، فذكرها لاهلها ، ونوه بالفضل لهم فـ
السبق اليها ، فامرو القيس " أول من شبه الشعر فى لونه بشوك السيل " (١)
وعدى بن زيد " أول من شبه أباريق الخمر بالظبا " (٢) فهذه المعانى
أحسن فيها قائلوها ، فقيمهم فى ذلك الشعراء ، غير أن هناك معانى سبق
اليها الشعراء ، ولم يحسنوا فيها فطرقها من أتى بعدهم وأبدعوا ، فاحتسب
للمتأخر فضل الابداع فى ذلك فقد سبق النابغة الجعدي فى صفة
الثور الى معنى لم يحسن فيه وهو قوله : (٣)

من وحش وجرة موشى أكارعه * طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

فأراد بالفرد أنه مسلول من غمده .

ولقد تناوله الطرمح بعده فأبدع ، حيث قال يذكر الثور :

يبدو وتضمرة البلاد كأنه * سيف على شرف يسل ويغمد (٤)

فهو يسل مرة ويغمد أخرى .

وهكذا يأخذ ابن قتيبة فى ضرب الامثلة التى تدل على سمة اطلاعه . الآن الشئ

الذى يلفت الانتباه عند ابن قتيبة ، أنه لم يستعمل لفظ " السرقة " أو الاغارة

(١) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٣٣ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٢٣٠ .

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٢٠ .

(٤) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٧١ .

او السلب ، كما استعملها معاصروه ، بل نراهم يستعمل في حديثه عن السرقة عبارة " وما سبق اليه فأخذ منه " حتى ولو أسرف الشاعر في الاخذ عن غيره ، ولم نجده يستعمل لفظ " السرقة " الا في نفس واحد ، حيث يقول : " وكان الكمية شديد التكلف في الشعر ، كثير السرقة " (١) وهذه هي الإشارة الوحيدة التي استخدم فيها لفظ " السرقة " ولم يبدل ذلك لا يرى لنفسه البتة في الحكم على الشاعر بالسرقة ، فلو كان ذلك من تداعي الخواطر بين الشعراء ، فلا يعد سرقة ، وهذا ما نوه عليه في كتابه " عيون الاخبار " حيث يقول : " قيل لبعض علماء اللغة رأيت الشاعرين يجتمان على المعنى الواحد في لفظ واحد ؟ فقال : عقول رجال توافت على السنتها " (٢)

كما نلاحظ من ابن قتيبة شيئا آخر ، وهو أنه لم يقل في الشعراء المحدثين بعد بشار " وما سبق اليه فأخذ منه " وقد يكون ذلك لكثرة الاخذ ، وتوارد الشعراء على المعاني كثيرا ، بحيث يصعب على الناقد حصر ذلك وتمييزه .

وما تنبه له ابن قتيبة أنه ربما اشترك شاعران في معنى واحد وجمعهما عصر واحد حيث يكون الأمر غامضا بالنسبة للسابق منهم الى ذلك المعنى ولهذا نراه يتخذ موقفا محافظا ، فلا يقطع بذلك المعنى لواحد منهم ، وإنما يرويه لهما جميعا ، من ذلك ما قاله في بيت ربيعة بن مقروم : (٣)

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ٢ : ص ٥٨١ .

(٢) ابن قتيبة . عيون الاخبار : ج ٢ : ص ١٨٢ .

(٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٣٢٠ .

نصل السيوف اذا قصرن بخطرنا * قدما ولاحقها اذا لم تلحق

فقد اشترك معه في هذا المعنى قيس بن الخطيم حيث يقول :
(١) اذا قصرنا أسيافنا كان وصلها * خطانا الى أعدائنا فنضارب

فاختلط الامر على ابن قتيبة أيهما كان أسبق الى المعنى ، فروى السبق اليهما جميعا ، حيث علق على بيت ربيعة بقوله : " أخذه من قيس بن الخطيم أو أخذ قيس منه " (٢) كما أن الشاعر اذا برز في فن من فنون القول واشتهر به ورويته أبيات في ذلك ، ولم يطمئن ابن قتيبة من صحة نسبتها الى ذلك الشاعر ، عمم الحكم ، دون أن يقطع بها للشاعر ، كما نبه على ذلك بقوله : " وكان العماني يجيد وصف الفرس ، ضمما أخذه ، أو أخذ منه قوله :
(٣) كأن تحت البطن منها كلبا * بيضا صفارا ينتهش المنقبأ " وهو بهذا الموقف المحافظ ، يعطى صورة صادقة لروح العالم الفقيه المحدث وهكذا تتضح لنا شخصية ابن قتيبة المتزنة ، في معالجته لقضية السرقات الشعرية ، حيث أعجب ببدأ الابتكار في الشاعر ، وأشاد بالمعنى الساذي لم يسبق اليه ، وكان قليل الاتهام للشعراء في قضية السرقة ، يتحسرى الدقة ، ويرى أن أكثر توارد الشعراء على المعاني يرجع الى تداعى الخواطر ، فلم يبال في محاسبة الشعراء ، ولم يمتن في انتقاصهم كغيره من شغفوا بالبحث عن معاييب الشعراء ، فانها لوا عليهم بالتجريح والانتقاص ، وان كانت بحوشهم تدور أكثر ما تدور حول مناقشة المعنى المفرد — أجديد هذا المعنى ام قديم ؟ أمبتكر أم مسروق ؟

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٣٢١ .

(٢) المصدر السابق ج ١ : ص ٣٢٠ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ : ص ٧٥٦ .

(الباب الثالث)
=====

الشاعر عند ابن قتيبة
=====

(الفصل الأول)

=====

ثقافة الشاعر

=====

اهتم ابن قتيبة بالشاعر وأولاه عناية كبيرة • فالشاعر عنده من غلب عليه الشعر • وتفنن فيه • واشتهر به • وكأنه يرى أن الانسان المعادي له القدرة على قول البيت والبيتين ولا يسمى راعيا • حيث يقول : " ولم أعرض في كتابي هذا لمن كان غلب عليه غير الشعر • • • لأنه قلل أحد له أدنى مسكة من أدب • وله أدنى حظ من طبع • الا وقد قال من الشعر شيئا • " (١)

وطى هذا فقد ميز بين نوعين من قائل الشعر : الشاعر وهو من وجه كل همه الى الشعر وتفنن فيه • وعرف به • ووقع الاحتجاج بشعره " في الغريب • وفي النحو • وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢)

والرجل المعادي الذي قال شعرا نادرا في المناسبات ولم يكن فصيحا عداد الشعراء لكساد شعره • وثقله ذكره •

ولهذا نراه قد ترجم للنوع الأول • وأولاهم عناية كبيرة • وأعمل

(١) ابن قتيبة • الشعر والشعراء • ج ١ : ص ٦٢ •

(٢) المصدر السابق • ج ١ : ص ٥٩ •

النوع الأخير ، ولم يحفل به ، كما يدل على ذلك نصه السابق . وعنايته لمن ترجم لهم لم تقتصر على الشعراء القدامى فحسب بل اتخذ لنفسه موقفا عادلا ، حينما انتصف للمحدثين من أنصار القديم ، إذ جعل الجودة في الشعر مدار التفاضل بين الشعراء ، فليس لتقدم الزمن يفضل الشاعر ، ولا لتأخره ينتقص شعره وكان هذا التزاما منه ببدا وضعه في مقدمة كتابه ، وهو أن لا يقدم قديما لقدمه ولا يؤخر محدثا لحداثته ، ولهذا كان اهتمامه بالشاعر المحدث لأسباب فنية متصلة بطبيعة الشعر ، وقد ترجم ابن قتيبة لكثير من الشعراء المحدثين ، كبشار ، والعتابي ، ودعبل الخزاعي ، وغيرهم كوان كان قد اهتم شاعرين كبيرين ملا الدنيا بشعرهما هما البحتري وأبو تمام (١) .

ولم يبق اهتمامه بالشاعر عند هذا الحد ، بل تمداه إلى أن قسم الشعراء إلى متكلفين قوموا شعرهم بالثقاف ، ونقحوه بطول الروية ، كزهير بن أبي سلمى ، والحطيئة ، وأشباههما .

والى مطبوعين . استسلموا لخواطيرهم الأولى ، فابتعدوا عن الكد ، واعدة النظر في شعرهم . (٢)

وليس بعيدا على ابن قتيبة الذي اتجه في أكثر نقده إلى الشاعر ، واهتم به ذلك الاهتمام أن يعالج ما يحتاجه الشاعر ، من ثقافته من أن يقف على أرض صلبة في ميدان الشعر ، ولهذا نجد ميتهم بالثقافة السماعية ، لأن —

(١) انظر تفصيل ذلك في قضية القديم والحديث .

(٢) انظر في ذلك فصل المتكلف والمطبوع .

الشعر عنصر سماع فهو دراسة يتوقف عليه ثقافة الشاعر والناقد على السواء.

فالشاعر في حاجة إلى اطلاع واسع على أساليب الكلام العربي
لينمي مداركه ويوسع ثقافته حتى ينفث له باب الشعر على مصراعيه
بالدربة والممارسة •

وابن قتيبة خص الثقافة السماعية بالاهتمام ، لان الشمرا حوج المعلوم
 بمد علم الدين الى السماع . " لما فيه من الالفاظ الغريبة واللغات
 المختلفة ، والكلام الوحشى ، وأسماء الشجر ، والنبات ، والمواضع
 والمياه . " (١)

كما نبه ابن قتيبة الى فساد الثقافة المستمدة من الدفاتر والمصحف
وقلة فائدتها ، لكثرة ما فيها من التحريف والتصحيف ، من ذلك ما رواه —
المصحفون ، والآخذون عن الدفاتر في قول الشاعر :

(٢) زوجك يا ذات الشايات الفر * الرتلالات والجبين الحر

يقال : " الثغر الرتل " اى المفلج . وقد رواه المصحفون " الريلات

بالياء المفتوحة ، وهى أصول الفخذين . يقال (ز) رجل أرسل . إذا كان عظيم الرلتين " أى عظيم الفخذي " ن . ولا شك أن قارى الشعر ، شاعرا كان أو غير ذلك ، يحتاج الى ثقافة لغوية

ونحوية ، كما يحتاج الى دراسة الاحداث التاريخية ، ومعرفة طبيعة

البيئة التي ظهر في ربوعها ذلك الشعر الذي يقرأه.

(١) ابن قتيبة • الشعر والشعراء • ج ١ : ص ٨٢ •

(٢) المصدر السابق • ج ١ : ص ٨٤ •

(٣) المصدر السابق • ج ١ : ص ٨٤ •

غير أن نظرة ابن قتيبة إلى الثقافية السطحية المتصلة باللغة
نظرة قاصرة لأن اللغة وحدها لا تمثل كل الجوانب الثقافية
التي لابد للشاعر من التزود بها . " فالشاعر مأخوذ بكل علم (١) .
فهو في حاجة إلى رواية الأشعار ، والأخبار ، ومعرفة الأنساب
وأيام العرب ، وتعلم المروء والنحو وكسل ماله علاقه صناعة الشعر
لينمي مداركه ويوسع ثقافته .

(١) ابن رشيقي . العمدة . ج ١ : ص ١٩٦ .

الفصل الثانى

==

علاقة الحالات النفسية بالشعر

=====

يشارك الشعراء جميعا فى الطاقة الشعرية على اختلاف طبقاتهم .
الا أن اشتراكهم فيها على درجات تختلف قريبا ومعدا حسب استجابتهم
للأشياء التى يريدون التعبير عنها . وقد كانوا قديما يرون أن هناك الهاما
ينزل على الشعراء مصدره شياطين الشعر ، فقد زعموا أن لكل شاعر
شيطانا ينفث فى روعه الشعر ، وقالوا ان شيطان الاعشى كان يدعى
مسحلا ، وأن عمرو بن قطن كانت لمتابعة من الجن اسمها جهنم ، وقيل
كانت بين هذين الشاعرين مهاجاة وفى ذلك يقول الأعشى :

(٢)

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له * جهنم جدعا للمهجين المذم
وقد يكون مصدر هذا الزعم من أن الشياطين تنزل على الشعراء أنهم فسروا
ما ينزل بالشاعر من حالات نفسية تلم به فى حالة نظمه الشعر بأنه فى
فترة الهام من شياطين الشعر ،

غير أن هذا الفهم للأحياء الشعري كسدوا انتهى لتحرر العقلية العربية
وتشبعها وصقلها بتعاليم الاسلام . فقد أخذ نقاد العرب القدامى
ينبهون للحالات النفسية وأثرها البين فى نتاج الشاعر .

(١) انظر د . د . شوقي ضيف . تاريخ الادب العربى " العصر الجاهلى "
(مصر ١٩٦٠) ص ١٩٢

(٢) المرزبانى . معجم الشعراء . (مصر ١٣٧٩ - ١٩٦٠ م) ص ٧٠

فقد أوصى بشر بن المعتمر الأديب باستغلال الوقت المناسب حيث قال : : " خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك ، واجابتها اياك فان قليل تلك الساعة أكرم جوهرها ، وأشرف حسابها ، وأحسن في الاسماع وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغبرة من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاوله والمجاهدة والتكلف والمعاودة . " (١) وإذا كان بشر يتكلم عن النشر لا عن الشعر فان مما لا شك فيه أن ساعة النشاط يسرق فيها الطبع ، ويصفو المزاج ، وهي لذلك تحين على الشعر فقد يكون فيها من ينابيع الإحياء ما يحرك الشاعر المبدع فيصل الى بغيته ويكون ذلك أجدى من عمل اليوم الاطول المتسم بالكد ومجاهدة القريحة .

وعلى هذا أدرك النقاد المرب أن هناك امورا يجب أن تسبق قرض الشعر أى أن هناك مرحلة اعداد للشاعر قبل أن يقدم على صناعته من تلك الامور : أن ينشأ الشاعر بين فئة من الفصحاء المستعملين للشعر ، وأن يعيش في بيئة معتدلة الهواد ، ذات مناظر جميلة متمعة ، تربطه بها

(١) الجاحظ . البيان والتبيين ج ١ : ص ١٦٣

(١) روابط وذكريات قوية الصلة بنفسه.

كما أدركوا أن للشعراء طرقا يشحنون بها قرائنهم ويستجلبون
بها الشعر (٢) ، وتلك الطرق تختلف من شاعر لآخر ، وتتباين فيما بينها
فمنها ما يطرب له الشاعر ، كأثار الديار المثيرة للذكريات السعيدة التي لم
تزل ماثلة في خياله ، وكامنة في حنايا نفسه ومنها ما يشرب عليه آمال الشاعر
وتطلعاته وغير ذلك من الطرق المتعددة التي لا نستطيع حصرها .

وكذلك تنبهوا لأوقات قرض الشعر ، فأروا أن بعض الاوقات أدعى
الى قول الشعر من بعض كذلك التي ينحزل فيها الانسان عن مشاغله
ويرتاح لها نفسيا . ، ويستجمع فيها فكره بحيث يسمح له بالشعر .

وعرفوا أن هناك فترة ركود تعرض لكل شاعر في بعض الاوقات كما أحس
بذلك الشعراء ايضا ، فقد كان الفرزدق يقول : " أنا أشعر تميم
عند تميم وربما أتت على ساعة ونزع ضرس أسهل على من قول بيت " (٣)

وعلى هذا الاساس يتضح لنا عاطفية الشعر لخضوعه لبعض العوامل
المزاجية اذ لو كان الشعر عقليا لكان من الممكن أن يقال في كل وقت
ولذلك كانت دوافع الشعر عاطفية وليست عقلية .

- (١) انظر . القرطاجني . منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ص ٤٠
(٢) انظر . ابن رشيق . الصمدية . ج ١ : ص ٢٠٥
(٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٨١ وانظر الجاحظ : البيان
والتبيين ج ١ : ص ٢٣٣ .

هذا وقد تناول النقاد العرب الحديث عن بواعث الشعر ومهيئاته وعلاقته بقائله ، وتأثره بمزاجه وظروفه ، كل ذلك في شيء من الدقاسة والايجاز ، وعدم التعليل أحيانا . فقالوا : أشعر الناس " امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنايف إذا رهب ، والاعشى إذا — (١) شرب " . وذلك رأوا أن لكل واحد منهم استجابات نفسية معينة فهذا امرؤ القيس يشحن قريحته بركوب الخيل ومطاردة الصيد ، وهذا زهير تدفعه الرغبة الى مقدمة الشعراء وكان أجود شعر النابغة اعتذارياته أما الاعشى فتفيض ينابيع شعره في حالة سكره .

وقد حاول ابن قتيبة أن يتناول تلك الحالات النفسية وعلاقتها بالشعر بشيء من التفصيل ، ومثل لها بأمثلة طريفه ، أقرب الى الموضوعية ورأى أن العمل الادبي انما هو استجابة معينة لمؤثرات نفسية خاصة وعلى هذا الاساس تناول القضية من ثلاث جوانب :
أولا : من جانب البواعث النفسية التي تحت البطيء ، وتبعث المتكلف حيث قال : " وللشعر دواع تحت البطيء وتبعث المتكلف ، ومنها الطمع ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب . " (٢) وقد ضرب لنا مثلا طريفا على دافع الطمع اذ يقول : " وقيل للحطيئة
أى الناس أشعر فأخرج لسانا دقيقا كأنه لسان حية ، فقال : هذا (٣)
إذا طمع " . ولهذا يرى أن الطمع أقوى دواعي الشعر ، وأن تفوق الشاعر

(١) ابن رشيق . الحمدة : ج ١ : ص ٩٥ .
(٢) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٧٨ .
(٣) المصدر السابق : ج : ص ٧٩ .

مرهون ببرايعته في المدح " وهذه عندي قصة الكميت في مدحه بنى أمية
وآل أبي طالب ، فانه كان يتشيع وينحرف عن بنى أمية بالرأى والهوى
وشعره في بنى أمية أجود منه في الطالبين . ولا أرى علتك الا قوة -
أسباب الطمع وايتار النفس لما جل الدنيا على آجل الآخرة .^(١)

على أنك تلمس اثر التفاوت^(٢) في شعر الشاعر الواحد تبعا للحالات
النفسية التي يمر بها ، وقد رأى ابن قتيبة هذا التفاوت عندما كان
الشاعر يتنازع أمران " الرجاء والوفاء " فقد ظهر التفاوت جليا في
شعر الخريص تبعا لتفاوت قوة الحافزين لديه ، فقد قال له احمد بن يوسف
الكاتب " مدائحك ل محمد بن منصور بن زياد . يعني كاتب البرامكة ،
أشعر من مراثيك فيه وأجوده ؟ فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء
ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد .^(٣) فقد كان دافع الرجاء
أقوى فعاليته دافع الوفاء . وعلى هذا يقتزن تفوق الشاعر بمدى قوة الدافع
اذ رأينا أن الشاعر باستطاعته أن يبرز بدافع الطمع . ولو لم يعبر عن
مماناة وجدانية صادقة ، حتى أن الشاعر في حالة تجرده من بعض تلك
الدوافع يعتمد عن قول الشعر فيصعب عليه فقد " قال عبد الملك بن مروان

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٧٩ .

(٢) نسب الاصمعي التفاوت في شعر حسان الى الموضوع نفسه حيث قال :
" الشعر نكدبا به الشرف اذا دخل في الخير ضعف ، هذا حسان
ابن ثابت فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شعره " ابن
قتيبة الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٣٠٥ .

اما ابن سلام فانه يرى أن خصب البيئة ليس له علاقة بكثرة الشعر ، فقريف
مواطنهم خصبة وشعرهم قليل وانما يكثر الشعر بالحروب . انظر ابن سلام
ج ١ : ص ٢٥٩ وقد كان ابن قتيبة أدق منهما فهما لانه ذهب الى التعليل
النفسى في ذلك التفاوت . (٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٧٩

لأرطاة به شهية ؛ هل تقول الآن شمرا ؟ فقال ؛ كيف أقول وأنا
(١)
ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب ، وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه .
غير أن تلك الدوافع النفسية المتمثلة في الطمع والشوق والشراب والغضب
وغيرها قد يصيبها الركود أحيانا فلا يثيرها إلا بعض الحوافز الأخرى
التي تنمى فيها القابلية لقول الشعر إذا عسر بابه ، مثل المناظر
الطبيعية الجميلة والمياه الجارية والهواء المعتدل ، والمكان المرتفع .
" قيل لكثيرا أبا صخر كيف تصنع إذا عسر عليك قول الشعر ؟ -
قال : أطوف في الرباع المخلية ، والرباع المعشبة ، فيسهب ~~فيها~~
(٢)
على أرضه ويسرع إلى أحسنه . " ويقال أيضا ؛ أنه لم يستبدع
(٣)
شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي .

ثانيا : من جانب علاقة الشاعر بالزمن . فهناك أوقات لها تأثير على قول الشعر وعلى مزاج الشاعر يسمح فيها الشعر الشارد ، وتنشال فيها المعاني المبتكرة ، والالفاظ المذبذبة ، فيرق شعر الشاعر ، ويصفو مزاجه ، وقد أدرك ابن قتيبة ذلك التأثير الزمني في الشعر حيث يقول :
" وللشعر اوقات يسرع فيها أتيه ، ويسمح فيها أبيه . منها أول الليل قبل تنفسي الكرى ومنها صدر النهار قبل الغدا " ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس والمسير . " وقد ذهب الى أدق من (٤)

(١) ابن قتيبة • الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٨٠

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٧٩

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

ذلك حيث رأى أن أشعار الشاعر ورسائل الكتاب تختلف باختلاف تلك
الملل بحيث لا تكون في مستوى فنى واحد كما وقد علق عليها بقوله : " ولهذه
الملل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكتاب " (١)

على أن ابن قتيبة قد تنبه أيضا لتلك الحالات النفسية والجسمية التي تمنع
من قول الشعر أو النثر على السواء فكما أن للشعر أو قاتا يسرع فيها فان له
أيضا أوقاتا " يبعد فيها قريبه ، ويستصعب فيها ريشه " وكذلك الكلام
المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات ، فقد يتعذر على الكاتب الأديب ، وعلى
البليغ الخطيب ، ولا يعرف لذلك سبب إلا أن يكون من عارض يعترض على ،
الفريزة من سوء غذا ، أو خاطر غم " (٢) فالطعام الطيب والمسرة من دواعى -
استجلاب الشعر والكلام المنثور الذى لا يلحقه وزن ولا قافية ، فاذا انعكست
تلك الدوافع أصبح الشعر كزلا لا خير فيه ، وعلى هذا فان الفائسدة
الفنية لا تتم إلا " اذا كانت الفريزة موافقة والطبيعة قابلة والحسن مقادا " (٣)

ما تقدم نرى أن ابن قتيبة قد عالج في الجانبين السابقين بعض النواحي
النفسية في الشعر ، فحاول أن يقف بنا على تلك الدوافع النفسية وما ينتج
عنها من أثر على قدرة الشاعر على الابتكار أو قصوره عنه ، وعلى ما يمرض
للفريزة من حالات تجعلها تسمع بالشعر أحيانا ولا تسمع به في بعض
الحالات .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٨١
(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٨٠ - ٨١
(٣) ابن قتيبة . عيون الأخبار : ج ١ : المقدمة . ص ٨

ثالثاً : من جانب مراعاة الحالة النفسية في الجمهور : ويتمثل هذا الجانب في تحليل ابن قتيبة لبناء القصيدة المربية - حيث جاء بتجسير نفسى لبناء القصيدة المربية ، فرأى أن لتلك المقدمة الغزلية وظيفة نفسية - فقد اكتسبت شحنة عاطفية اكتسبتها الثبات والاستقرار في النفوس ، كما أن مبدأ التناسب بين أجزاء القصيدة يوحي بإشراك السامعين في عاطفة الشاعر بحيث يكون السامع مشدود الانتباه وينتقل مع الشاعر من جزء إلى آخر دون ملل أو كلال ، هذا إذا كانت أجزاء القصيدة متناسبة في الطول معتدلة الأقسام فلا يطيل الشاعر في قسم منها دون الآخر فيمل السامعين ولا يوجز وبالنفوس ظمناً إلى المزيد ، وعلى هذا رأوا أن ذا الرمة انمسا تأخر عن ركب الفحول لأنه كان يسهب في الوقوف بالديار ، ويطيل في وصف الرحلة ، حتى إذا أتى إلى المديح فترت النفوس ، وملت الاستماع فلم تكن طريقته تلك موفقة من الوجهة النفسية .

ومما فطن له ابن قتيبة أيضاً رجوع القارئ إلى نفسه وتأمل حالها عند انشاد الشعر ، وما يثيره ذلك فيها من الارتياح والاستجابة لذلك الشعر حيث يقول : " أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه " (١) ولذلك نرى أن كل تأثير في نفوس السامعين منشؤه العمل الأدبي ذاته بما يحدثه في تلك النفوس من استجابات معينة .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٨٢ .

الفصل الثالث

=====

" تقويم الشعراء "

=====

ترجم ابن قتيبة لما تثنى وستة من الشعراء ، وروى الكثير من أخبارهم
وقدم في ثانيا تلك التراجم نماذج كثيرة من شعرهم ، كما أورد بمحض
الاحكام النقدية عليهم . وعلى شعرهم ، معللا لبعض الظواهر
الأدبية التي برزت في شعرهم .

الا أن تلك الاحكام النقدية التي عرضها في ثانيا كتاب الشعر والشعراء
قد نقل أكثرها ان لم يكن جميعها عن العلماء السابقين له ، دون أن يشير
الى من نقل عنهم تلك الاحكام أحيانا ، من ذلك ما أخذه عن ابن سلام
في تعليل لين شعر عدي بن زيد بأنه " كان يسكن بالحيرة ويدخل
الأرياف فتقل لسانه واحتمل عنه شيء كثير جدا ولماؤنا لا يــــرون
شعره حجة . " (١) ونقل عن الأصمعي قوله في حسان بن ثابت : " الشعر
نكد بابه الشرء
x فإذا دخل في الخبر ضعف ، هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية
فلما جاء الاسلام سقط شعره . " (٢) فالأصمعي ينسب ظاهرة التفاسوت
في شعر حسان الى الموضوع .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ ص ٢٢٥ . وانظر ابن سلام . ج ١
ص ١٤٠

(٢) المصدر السابق : ج ١ ص ٢٠٥

وقد تنبه ابن قتيبة الى أن هناك خصائص جزئية تبرز أحيانا ففى
شعر الشاعر بحيث تلقى الضوء على الثفاق تلك الجزئيات بحياة
الشاعر ، وسجل فى حديثه عن الشعراء بعض تلك الجزئيات فزهير
ابن ابى سلمى كان " يتأله ويتمتع فى شعره ، ويدل شعره على
إيمانه بالبعث . وذلك قوله :

يوخر فيودع فى كتاب فيدخر * ليوم الحساب أو يعجل فينقم (١)

وقد أشار الى ظاهرة البؤس فى شعر تأبط شرا . (٢)

أما الشماخ بن ضار فانه " أوصف الشعراء للحمير . وأرجز الناس على
يديهة " . كما رأى أن عمرو بن معد يكرب الزبيدى " احد من يصدق عن —
نفسه فى شعره قال :

ولقد اجمع رجلى بهـ * حذر الموت وانى لفـرور
ولقد أعطفها كارهـ * حين للنفس من الموت هـرير
كل ما ذلك منى خلـق * وكل أنا فى الروح جدير (٤)

وأن عمرو بن قميصة " ممن أنصف فى شعره وصدق " . (٥)

أما أبو نواس فغزله " ضعيف مشاكل لطبائع النساء " . (٦)

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ١٣٩

(٢) المصدر السابق ج ١ : ص ٣١٢

(٣) المصدر السابق ج ١ : ص ٣١٧

(٤) المصدر السابق ج ١ : ص ٣٧٣ — ٣٧٤

(٥) المصدر السابق ج ١ : ص ٣٧٧

(٦) المصدر السابق ج ٢ : ص ٧٩١

وقد أشار ابن قتيبة الى أنمن الممكن اشتراك أكثر من شاعر في جزئية واحدة . فابودؤاد الأيادي " أحد نحات الخيل المجيدين " .^(١)
وقد رأى الأصمعي أن هناك ثلاثة من الشعراء اشتهروا بتلك الجزئية وهم : " أبودؤاد الأيادي في الجاهلية وطفيل الغنوى والنايفسة^(٢) الجعدي " .

ولم يكتف ابن قتيبة بإيراد مثل تلك الجزئيات التي تلقى الضوء على جانب من جوانب العمل الأدبي ، بل أورد بعض الأحكام النقدية العامة التي نظرت الى إنتاج الشاعر بأكمله فكشفت مكانته الأدبية بين الشعراء فامرؤ القيس قد سبق " الى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب ، واتبعها عليها الشعراء ، من استيقافه صحبه في الديار ، ورقة النسيب وقرب المأخذ " .^(٣)

أما الحطيئة فقد قال عنه زهير بن أبي سلمى : " ما رأيت مثله قسى تكفيه على أكتاف القوافي ، وأخذه بأعنتها حيث شاء ، من اختلاف معانيها ، امتداحا وذمما " .^(٤)

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ : ص ١٣٨

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٣٨

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١١٠

(٤) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٤٣ - ١٤٤ .

ونقل ابن قتيبة عن أبي عبيدة قوله في النابغة الذبياني : " أنه كان
أوضح الشعراء " كلاما ، وأقلهم سقطا وحشوا ، وأجودهم مقاطع ،
وأحسنهم مطالع ، ولشعره ديباجة ، وإن شئت قلت : ليس بشعر
مؤلف من تأنيثه ولينه ، وإن شئت قلت : صخرة لوردت بها الجبال لأزالتها^(١) .
" وذكر أبو عبيدة عن ابن عمرو بن العلاء قال : كان عدي بن زيد في الشعراء
بمنزلة سهيل في النجوم ، يمارسها ولا يجري مجاريها^(٢) . " لأنه رأى أن -
القدرة الشاعرية عنده لا تمكنه من أن يسير في ركب الشعراء . أما المرجس
فقالوا عنه : " أنه اشمر بنى أمية^(٣) . وهذه الأحكام العامة شاملة لكثير
من الخصائص الفنية التي تتمثل في مناهج الشعراء ، ونتاجهم الأدبي
بصفة عامة ، وهي أحكام بنيوية نظرية فاحصة مستوعبة .

أما الحديث عن الشعراء على أساس تصنيفهم إلى فئات حسب اتجاهاتهم
المختلفة فهو ما أشار إلى بجانب منه ابن قتيبة ، حيث فرق بين نوعين
من الشعراء ، شعراء الصنعة المحمودة في الشعر ، وهؤلاء هم الذين
اتخذوا لأنفسهم منهجا خاصا في تهذيب الشعر ، وتنقيحيه ، ومثلوا
اتجاهها واحدا في الشعر ، كزهير والحطيئة وأشباههما .

وشعراء الطبع الذين استسلموا لخواطيرهم الأولى ، وقد أشار ابن قتيبة
إلى بعض أصحاب هذا المذهب الأخير ، كبشار ، وأبي المثناهية ، وأبي نواس .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ : ص ١٦٨

(٢) المصدر السابق ج ١ : ص ٢٣٠

(٣) المصدر السابق ج ٢ : ص ٥٧٤

وإذا كان نقاد العرب قد وازنوا بين الشعراء القدماء والمحدثين -
بصفة عامة ، ففضل بعضهم شعرا القدماء ، وأعرض عن شعرا المحدثين ، فان
نقاد القرن الثالث الهجري نظروا بعين الانصاف الى الفريقين ، وكان
من بينهم ابن قتيبة الذي تمثل موقفه في الانتصاف للمحدثين من انصار
القديم .

أما التقييم القائم على الموازنة بين شاعرين ، أو بين نصين مفردين ، فلم
يتعرض له ابن قتيبة .

وقد أشار ابن قتيبة الى عملية الربط بين الشعراء المتقدمين والشعراء
المتأخرين ، وهي فكرة وجدت عند ابن سلام قبله ، ونظرت الى أن بعض
الشعراء المتأخرين احتذى في منهجه بعض طرق الشعراء المتقدمين ، مما
جعل الشبه بينهم واضحا فكان جرير * يشبه من شعراء الجاهلية بالهشبي * (١)
* وكان الفرزدق يشبه من شعراء الجاهلية بزهير * (٢) أما العباس ابن
الاحنف فكان * صاحب غزل ويشبه من المتقدمين بعمر بن أبي ربيعة * (٣)
وبذلك نرى أن ابن قتيبة في تقييمه الشعراء قد القى الضوء على بعض
الخصائص الفنية التي تتمثل في مناهج الشعراء ، وعلى لبعض الظواهر
الأدبية التي برزت في شعورهم . وعلى هذا فقد تخللت تراجم الشعراء مادة
نقدية قيمة .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٤٦٥ .

(٢) المصدر السابق . ج ١ : ص ٤٧٦ .

(٣) المصدر السابق . ج ٢ : ص ٨٢٧ .

خاتمة البحث

=====

تناولت في هذه الدراسة نشأة ابن قتيبة وحياته وآثاره ، وقدمت صورة واضحة للاتجاهات النقدية في القرن الثالث الهجري ، ولقد اقتضت الحديث عن النقد الأدبي في القرن الثالث بعض الوقوف على أهم الخطوات التي خطاها النقد العربي منذ العصر الجاهلي حتى القرن الثالث لأن تلك الخطوات النقدية كانت من العناصر التي قام عليها النقد في هذا القرن ، كما أن ذلك قد كشف جهود ابن قتيبة في ميدان النقد العربي عندما تصدى له وألف فيه .

ولقد برزت شخصية ابن قتيبة الناقد في تلك المقدمة القيمة التي صدر بها كتاب " الشعر والشعراء " حيث عرض فيها كل ما جاء به من آراء نقدية دلت على منهجه التوفيقى في ميدان النقد الأدبي بوجه عام وصورت موقفه من الشعر من خلال معالجته لأهم القضايا النقدية التي تناولها النقاد بعده . وكان من أهم لفتاته الفنية حديثه عن لغة الشعر . فقد حرص على فصاحة لفظة الشعر والارتقاء بها عن سقط الكلام وحوشيه وغلظته .

كما شارك النقاد في تخليص الشعر مما قد يعلق به من الميوب التي تقلل من قيمته الفنية ، فحاول أن يبرز الميوب الشكلية وأثرها في العلاقات الاعرابية وما تحدثه في الأوزان من اختلال يفقد الشعر رونقه وجماله .

كما تحدث عن قضية اللفظ والمعنى ، وقسم الشعر على هذا الأساس الى أربعة أضرب مقررًا أن ركني الشعر هما اللفظ والمعنى وقد عالجهما مقترنين فسمى النص الأدبي لا يحكم عليه بواحد منهما دون الآخر ، غير أن أحكامه في تلك

القضية كانت قائمة على أساس منطقي غير فني ، لأنه حاول أن يجعل للشعر قواعد مستمدة حكمه من بيت أو بيتين أو ثلاثة أبيات .^(١)

كما أراد أن يجعل اللفظ في خدمة المعنى أحيانا ، وذلك في حديثه عن القسم الثاني من أقسام الشعر ، حيث حكم على قيمة الشعر من خلال الدلالة المعنوية ، دون أن ينظر الى الركن الثاني الذي يمثله اللفظ ، ولذلك تخطت في قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى .

وقد تنبه الى أن اللفظ والمعنى ليسا كل شيء في الشعر وأن هناك أموراً أقرب الى روحه فتحدث عن الوجوه التي يختار عليها الشعر ويحفظ متخذاً — الجودة في اللفظ والمعنى أساساً للمفاضلة بين الشعراء .

غير أنه قد أتى بعموامل وأسباب أخرى لاختيار الشعر غير عامل الجودة في الالفاظ والمعاني وقد فقدت تلك العوامل والاسباب العنصر الموضوعي الذي يبنى عليه الاستحسان والحفظ والاختيار .^(٢)

ثم تناول ابن قتيبة قضية المتكلف والمطبوع من الشعر وبين امـارات الشعر المتكلف فأجاد . وكانت خطوته تلك موفقة تدل على قدرته الادبيـة

(١) انظر في ذلك فصل قضية اللفظ والمعنى من هذا البحث .

(٢) انظر فصل دواعي حفظ الشعر واختياره من هذا البحث .

وسمة علمه حيث جعل تلك الامارات واضحة يعرفها كل من له علاقة بصناعة الشعر ، كما أصاب في بيان خصائص الشعر المطبوع ، لكنه عندما أراد أن يطبق نقده ومفهومه للشعر المطبوع أخطأ التوفيق ولم يحالفه الحظ حيث اورد اكثر من شاهد دلت على انعدام الذوق في نقده التطبيقى ، من ذلك استشهاده بأبيات ابن مطير في وصف المطر (١) ، اذ لم يصدر الشاعر عن ذلك الطبع الذى تحدث عنه ابن قتيبة وبين خصائصه .

وقد حدد ابن قتيبة موقفه من قضية القديم والحديث في الشعر فقـــرر أنه يقدر الشعر بمقدار بلاغة القول بصرف النظر عن سائر الاعتبارات الاخرى ، وكان موقفه في ذلك يتمثل في الاستصاف للحديث من انصار القديم .

كما ابدى اهتمامه بضرورة التناسب بين اجزاء القصيدة الواحدة مع مراعاة حالات المستمعين النفسية ، فالشاعر المجيد من عدل بين اقسام القصيدة " فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر ولم يطل فيمل السامعين ولم يقطع بالنفوس ظمأ الى المزيد (٢) " .

ولما كانت السرقات الشعرية احدى قضايا النقد العربى فقد تناولها ابن قتيبة بطريقة تختلف عن منهج معاصريه وطرقهم في بحث تلك القضية . فقد عرضها في ثنايا كتاب الشعر والشعراء عرضاً مقتضياً دل على ذلك على مدى تقديره

(١) انظر تفصيل ذلك في فصل المتكلف والمطبوع من هذا البحث .

(٢) ابن قتيبة " الشعر والشعراء " ج ١ : ص ٧٦ .

لكل معنى مبتكر لم يسبق اليه الشاعر.

وكما تحدث ابن قتيبة عن الشعر تحدث ايضا عن الشعراء ، ولمس من دراسته للشعراء انه تناول في تلك الدراسة جانبين مهمين ، أولهما الجانب العلى : حيث ذكر أنه تناول المشهورين من الشعراء " الذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " (١).

والجانب الثانى فنى يتمثل فى ترجمته للشعراء المحدثين الذين لا يقع الاحتجاج بأشعارهم وتقديره الشعر من ناحية جودة الكلام.

وقد اهتم ابن قتيبة بالشاعر وأولاه عناية كبيرة ، فمالح ما يحتاجه من ثقافة تمكنه من أن يقف على أرض صلبة فى ميدان الشعر وتناول الحديث عن الحالات النفسية للشاعر وأثرها فى شعره ، وتكلم عن المؤثرات والحوافز التى تدفع الشاعر الى القول وذكر العوامل التى تموقعه عنه ، وتحدث عن علاقة الشاعر بالآزمنة والامكنة ، وأدرك تفاوت الشعراء فى الطاقة الشعرية.

وقد ترجم ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء لعدد كبير من الشعراء وتخللت تلك التراجم مادة نقدية قيمة ، فقد علل لبعض الظواهر النقدية التى برزت فى شعر الشعراء ، وبين بعض الخصائص الفنية التى تتمثل فى مناهج الشعراء.

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٥٩ .

"فهرس المراجع"

— ابن الأثير ، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم
الموصلى الشافعى ، المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر (القاهرة
١٣٥٤ - ١٩٣٥ م) .

— ابن الأثير . عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن
عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى .

١ — الكامل فى التاريخ . (بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م)

٢ — اللباب فى تهذيب الانساب . (مصر ١٣٥٦ هـ) .

— د . احسان عباس .

تاريخ النقد الأديب عند العرب من القرن الثانى حتى القرن الثامن الهجرى .

(بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) .

— د . أحمد أحمد بدوى . أسس النقد الأديب عند العرب . (القاهرة

١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م) .

— أحمد أمين .

١ — ضحى الاسلام . (مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م)

٢ — النقد الأديب . (بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م)

— الأزهرى . أبو منصور محمد بن أحمد . تهذيب اللغة . (مصر ١٣٨٤ -

١٩٦٤ م) .

— أسامة بن منقذ . البديع فى نقد الشعر . (مصر ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م) .

— الأصبهاني . أبو الفرج على بن الحسين بن محمد الأموى . الأغانى (بيروت

تصوير ١٩٥٩ م) . و (طبعة مصر ١٣٧١ - ١٩٥٢ م) .

— الامدى . أبو القاسم الحسن بن بشر . الموازنة بين الطائيين (مصر

١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م) .

- ابن الأنباري . أبو البركات عبد الرحمن بن محمد . نزهة الألباء . فــــي
طبقات الأدباء . (مصر ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧ م) .
— الباقلائي . أيوب كرين الطيب . اغجاز القرآن (القاهرة ١٩٦٣ م) .
— البحترى . الوليد بن عبيد بن يحيى . ديوانه . (مصر ١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م) .
— د . بدوي طبانه . قدامة بن جعفر والنقد الأدبي (مـــــــر
١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م) .
— بروكلمان . كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربي . (مصر ١٩٦٨ م) .
— البستاني . فؤاد أفرام البستاني . دائرة المعارف . (بيروت ١٩٦٦ م) .
— البغدادي . اسماعيل باشا . هدية المعارفين . (طبعة بالافست أهران ١٣٨٧ هـ) .
— البغدادي . عبد القادر بن عمر . خزنة الأدب وللبالاب لسان العرب
(تصوير بيروت بدون تاريخ) .
— ابن تفرى بردى . جمال الدين أبو المحاسن يوسف . النجوم الزاهرة في
أخبار ملوك مصر والقاهرة (مصر ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م) .
— ابن تيمية . أحمد بن عبد الحليم . تفسير سورة الاخلاص . (مـــــــر
١٣٥٢ هـ) .
— الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب .
١ — البيان والتبيين . تحقيق السندويى . (القاهرة ١٣٧٥ هـ — ١٥٦٦ م)
٢ — الحيوان . تحقيق عبد السلام هارون . (مصر ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م) .
— الجرجاني . عبد القاهر .
١ — أسرار البلاغة (استانبول ١٩٥٤ م)
٢ — دلائل الاعجاز . (مصر ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م) .
— الجمحي . محمد بن ســــلام . طبقات فحول الشـــــــعراء
(القاهرة ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م) .

- الجندى . عبد الحميد سند . سلسلة أعلام العرب ٢٢ . (مصر ١٦٦٣ م)
- الجهمشيارى . أبو عبد الله محمد بن عبدوس . كتاب الوزراء والكُتَّاب
(القاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م) .
- ابن الجوزى . على بن عبد الرحمن . المنتظم فى تاريخ الملوك والأُمَم .
(حيدرأباد . ١٣٦٠ هـ) .
- الخطيب البغدادي . أبو بكر أحمد بن على . تاريخ بغداد . (مصر
١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م) .
- ابن خلدون . عبد الرحمن بن محمد . المقدمة . (طبعة مصرية بدون تاريخ) .
- ابن خلكان . شمس الدين أحمد بن إبراهيم الشافعى . وفيات الأعيان
(مصر ١٣١٠ هـ) .
- الذهبى . شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد .
١ — تذكرة الحفاظ . (حيدرأباد ١٣٣٣ هـ) .
٢ — الصبر فى خبر من غبر (الكويت ١٩٦١ م) .
٣ — ميزان الاعتدال فى نقد الرجال . (مصر ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م) .
- ابن رشيق القيروانى . أبو على الحسن بن رشيق . العمدة فى محاسن
الشعر وآدابه ونقده . (مصر ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م) .
- الزركلى . خير الدين . الأعلام . (مصر ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م) .
- السمعانى . عبد الكريم بن محمد . الانساب . (طبعة بالزنگوفراف ١١١٢ م) .
- د . سهير القضاوى . النقد الأدبى . (مصر ١٩٥٩ م) .
- ابن السيد البطليوسى . أبو محمد عبد الله بن محمد . الاقتصاد
فى شرح أدب الكتاب . (بيروت ١٩٠١ م) .
- السيوطى . جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبى بكر .

- ١ — بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (مصر ١٣٨٤هـ — ١٩٦٥م) .
- ٢ — تاريخ الخلفاء . (القاهرة ١٣٨٣هـ — ١٩٦٤م) .
- ٣ — المزهرفي علوم اللغة وأنواعها . (مصر الطبعة الثانية بدون تاريخ) .
- د . شوقي ضيف . —
- ١ — تاريخ الأديب العربي " العصر الجاهلي " . (مصر ١٩٦٠م) .
- ٢ — الفن ومذاهبه في الشعر العربي . (مصر ١٩٦٩م) .
- الصولي . أبو بكر محمد بن يحيى . أخبار أبي تمام . (القاهرة ١٣٥٦هـ — ١٩٣٧م) .
- ابن طباطبا . أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي . عيار الشعر . (القاهرة ١٩٥٦م) .
- طه أحمد إبراهيم . تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري . (بيروت بدون تاريخ) .
- أبو الطيب اللغوي . عبد الواحد بن علي . مراتب النحويين . (مصر — ١٣٧٥هـ — ١٩٥٥م) .
- أبو الطيب المتنبي . أحمد بن الحسين . ديوانه . شرح البرقوق — (القاهرة ١٣٥٧هـ — ١٩٤٨م) .
- عبد الحكيم بليغ . النشر الفني وأثر الجاحظ فيه . (القاهرة ١٣٧٥هـ — ١٩٥٥م) .
- ابن عبد ربه . أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي . المقادير — (القاهرة ١٣٧٢هـ — ١٩٥٢م) . (طبعة القاهرة أيضا ١٣٥٩هـ — ١٩٤٠م) .
- د . عز الدين اسماعيل . الأسس الجمالية في النقد العربي . (القاهرة — ١٩٦٨م) .

- المسقلاني . شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حيدر . لسان
الميزان . (حيدر آباد ١٣٣٠ هـ) .
- العسكري . أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل . الصناعتين . (مصر
١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م) .
- ابن المصانيد . أبو الفلاح عبد الحق الحنبلي . شذرات الذهب في أخبار
من ذهب . (مصر ١٣٥٠ هـ) .
- العماري . علي محمد حسن . الصراع الأدبي بين القديم والجديد
(مصر ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م) .
- عمر رضا كحالة . معجم المؤلفين . (دمشق ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م) .
- الفرزدق . همام بن غالب . ديوانه . (بيروت ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م) .
- الفيروز آبادي . مجد الدين محمد بن يعقوب . القاموس المحيط —
(مصر ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م) .
- القاضي الجرجاني . علي بن عبد العزيز . الوساطة بين المتبني وخصوصه .
(مصر ١٣٧٠ — ١٩٥١ م) .
- ابن قتيبة . عبد الله بن مسلم .
- ١ — أدب الكاتب . (مصر ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣ م) .
- ٢ — الأئمة والسياسة المنسوب لابن قتيبة (مصر ١٩٦٧ م) .
- ٣ — الاتواء . (حيدر آباد ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م) .
- ٤ — تأويل مختلف الحديث . (مصر ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م) .
- ٥ — تأويل مشكل القرآن . (مصر . ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م) .
- ٦ — الشعر والشعراء تحقيق أحمد محمد شاكر . (مصر ١٩٦٦ م) .
- ٧ — عيون الأخبار (مصر ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م نسخة بالافتتاح) .

- ٨ — غريب القرآن . (١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م) .
- ٩ — المعارف . (مصر ١٩٦٩ م) .
- ١٠ — المعاني الكبير . (حيدرآباد ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م) .
- ١١ — الميسر والقداح . (القاهرة ١٣٨٥ هـ) .
- قدامة بن جعفر . نقد الشعير . (مصر ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م) .
- القرطاجني . أبو الحسن حازم . منهاج البلغاء وسراج الأدباء . (تونس — ١٩٦٦ م) .
- القفطي . جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف . أنباه الرواة على أنباه — انحاة . (مصر ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م) .
- ابن كثير . عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي البداية — والنهاية في التاريخ . (مصر ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م) .
- المبرد . أبو الحباس محمد بن يزيد . الكامل في اللغة والأدب . (القاهرة — ١٩٥١ م) .
- د . محمد زغلول سلام .
- ١ — أثر القرآن في تطور النقد العربي . (القاهرة ١٩٦٨ م) .
- ٢ — تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري . (مصر ١٩٦٤ م) .
- ٣ — سلسلة نوايغ الفكر العربي ١٨٠ (مصر ١٩٦٥ م) .
- د . محمد غنيمي هلال . النقد الأدبي الحديث . (القاهرة ١٩٦٤ م) .
- محمد كرد علي . كتاب العرب في رسائل البلغاء . (مصر ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م) .
- د . محمد مندور . النقد المنهجي عند العرب . (القاهرة ١٩٤٨ م) .
- المرزباني . أبو عبد الله محمد بن عمران .
- ١ — الموشح في مأخذ الحلما على الشعراء . (القاهرة ١٣٨٥ هـ) .
- ٢ — مصحح الشعراء . (مصر ١٣٧١ هـ — ١٩٦٠ م) .

- المرزوقي . ابو علي احمد بن محمد بن الحسن . شرح ديوان الحماسة
(مصر ١٣٧١هـ - ١٩٥١م) .
- المسعودي . علي بن الحسين بن علي . مروج الذهب ومعادن الجواهر
(بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) .
- ابن منظور . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب
(بولاق ١٣٠٢هـ) .
- النابغة الذبياني . زياد بن معاوية . ديوانه . (بيروت ١٣٦٨م) .
- ابن النديم . محمد بن اسحق بن يعقوب . الفهرست (مصر ١٣٤٨هـ) .
- النووي . أبو بكر زكريا محي الدين بن شرف . تهذيب الأسماء واللغات
(المطبعة المنيرية بدون تاريخ) .
- اليافعي . أبو محمد عبد الله اسعد بن علي بن سليمان . مرآة الجنان
وعبرة اليقظان . (بيروت ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .
- ياقوت . ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي . معجم البلدان (بيروت
١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م) .
- الترجمة الصربية لدائرة المعارف الاسلامية . (القاهرة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م) .
- مجلة تراث الانسانية . (القاهرة ١٩٦٤م) .

====

"جدول الخطأ والصواب"

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	١٠	منهجه	منهجه
٧	٧ - ٨	الشمر الشمرا*	الشمر والشمرا*
٥	٣	برقة	برقة
٧	٩	قـ	قـ
١٠	١ -	ارت	ارت
١٢	١٠	تصين	تصين
١٣	٥	محمل	محمل
١٦	٦	الشمر بين	الشمر بين
٢٢	٤	قتنه	قتنه
٢٦	٥	غـد	غـير
٢٩	٩	مخصية	شخصية
٣١	١٣	عليلة	عليلة
٣٤	١١	—	منهما
٣٦	١٤	١٠ - كتاب الأنوار	١٠ - كتاب الأنوار
٣٨	٠٢	وذكرة	وذكرة
٤١	٠٥	معناني	معاني
٤٤		نـ	نـ
٤٦	٠٥	كتاب ارب	كتاب ارب
٤٧	١٥	حمد	أحمد
٤٧	١٧	التاريخ	التاريخ
٥٠	٠٢	لمترجت	امترجت
٥٠	٠٧	السنن	السنن
٥٢	٠٣	والشمسين	والشمسين
٥٣	٠١	الوجو	الوجوه
٥٣	٠٧	من	من
٥٣	٠٩	سنن	من
٥٥	٠٧	ومبوة	ومبوة
٦١	٠٣	قريش	قريش

الصفحة	السطر	الخطأ	المصواب
٦٢	٠١	الشعراء	الشعراء
٦٣	٠٩	حجج	حجج
٦٣	١١	طرقه	طرقه
٦٦	٠٨	اكفاء	الاكفاء
٦٧	٠٥	جريننا	جريننا
٧٠	٠٣	تخلو	تخلو
٧١	٢ (الهامش)	الصناعيين	الصناعيين
٧٢	٠٢	لتبيض	لتبيض
٧٢	٠٣ (الهامش)	الصناعيين	الصناعيين
٧٤	٠٤	المخفوض	المخفوض
٧٥	٠٥	على	على
٧٦	١١	الى لا	الا
٨٠	٠٩	التقصي	التقصي
٨٠	٠٣ (الهامش)	الصناعيين	الصناعيين
٨١	٠١ (الهامش)	الصناعيين	الصناعيين
٨٦	٠٤	ومضى	ومضى
٨٦	٠٢ (الهامش)	الصناعيين	الصناعيين
٨٧	٠٤	ان	ابن
٨٩	٠١	اضرب	اضرب
٨٩	٠٩ (الهامش)	الصناعيين	الصناعيين
٩٤	٠٦	موضح	موضح
٩٤	١٠ ٨	رونقة	رونقه
٩٤	١٠ (الهامش)	البشتي	البهستي
١٠٠	٠٢	قلاغمش	قلاغمش
١٠٢	٠٢	روية	روية
١٠٢	٨ ٣ (الهامش)	الصناعيين	الصناعيين
١٠٢	١٤ (الهامش)	الصناعيين	الصناعيين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٤	٠٣ (الهامش)	الصناعين	الصناعتين
١٠٥	١٣	تقلهما	نقلهما
١١٠	٠٢ (الهامش)	وبالجزره	وبالجزر
١١١	٠٦ (الهامش)	الصناعين	الصناعتين
١١٢	٠٨	بالدره	بالدرية
١١٢	١٥	مقمة	متدقة
١١٥	٠٤	الاستعارات	الاستعارات
١١٥	١٣	الاعراب	الاعراب
١١٥	١٤	نوعن	نوعين
١١٥	٠١ (الهامش)	الصناعين	الصناعتين
١١٨	١١	والرابط	والترابط
١٢١	١٢	الطريقة	الطريقة
١٢٥	٠١	يمسح	يمسح
١٢٥	١٣	موفقه	موفقة
١٢٨	٥ - ٧	د واد	د واد
١٣١	١٠	لاينه	لاينة
١٣٢	١٧	قد ونوا	قد ونوا
١٣٣	٠٢	د امترنا	د امت زمانا
١٣٤	٠٩	ما سيتحق	ما يستحق
١٣٦	٠٤	ييتي	يبنى
١٣٨	٠٧	يلمج	يلمج
١٤٠	٠١	رسح	رسح
١٤١	١٢	مقب	عقب
١٤٢	١٢	مثابت	مثابت
١٤٥	١٨	مقطمة	مقطمه
١٤٧	٠١	يسيق	يسبق
١٤٨	٠١	نرا يستعمل	نراه يستعمل
١٤٩	٠٩	ضمما	ضمما
١٤٩	١٦	بيالغ	بيالغ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥٢	١١	يقفاهتمامه	يقف اهتمامه
١٥٢	١٨	نجد ميهتم	نجد بهتم
١٥٣	٥٦	الغريبة	الخرية
١٥٤	٥١	المثقلة باللفة	المثقلة باللفة
١٥٦	١٤	الهوا	الهواء
١٥٨	٣ (الهامش)	ح	ح ا
١٥٩	١٠	وأجوده	وأجود
١٦٤	٥٦	يوخر	يؤخر
١٦٥	٥٤	الفتوى	الفتوى
١٦٥	٥٨	نظرات	نذارت
١٧٠	١٦	دل على ذلك	دل مع ذلك

ز/جاها